

## الإسلام والقومية

(القسم الثاني) \*

د. حسن أحمد الحيارى

### الإسلام وعلاقته بالقومية

هناك العديد من الآراء المتضادة حول العلاقة بين القومية والإسلام نادى بها الكتاب والمؤلفون على اختلاف نهجهم الفكري ، وقد ازدادت المؤلفات انتشارا في هذا القرن نظرا لاعتباره قرن القوميات لشعوب آسيا وأفريقيا كما يدعى كتاب القومية ، ولعل من المفيد جدا أن نعرض آراء الكتاب حول هذا الموضوع من جوانبه المتعددة ثم نذهب إلى توضيح المعالم الأساسية لهذا الموضوع الهام عن طريق عرض جذوره التاريخية ، والحاضرة ، والمستقبلية .

هناك آراء لفارس القومية العربية في القرن العشرين ساطع الحصري أردننا عرضها هنا لنرى سويا كيف ينظر للعلاقة بين الإسلام والقومية ، وهي : «إن فكرة القومية العربية صادفت في طريق سيرها وانتشارها عراقيل كثيرة ، وعقبات خطيرة وقد تغلبت على الكثير منها منذ بداية القرن الحالي :

فإنها اخترقت أولا السد المنيع الذي تكون من امتزاج فكرة الجامعة العثمانية بمعنوية الخلافة الإسلامية ، وهي على وشك الانتهاء من التغلب على العقبات التي تعرّض طريقها باسم الرابطة الشرقية من ناحية ، والرابطة الإسلامية من ناحية أخرى»(١). «إن الأديان والمذاهب في البلاد الأوروبية ، قد أثرت في سير الحركات القومية عن طريق تدخلها في صراع اللغات وتنافسها ، كعامل «مساعد»

---

\* لقد نشر القسم الأول من هذا المقال في العدد الماضى .

لبعضها ، وعامل «عائق» لبعضها الآخر ، ولكنها ، لم تصبح قط ، عاملًا في تكوين القوميات » (٢).

«إن آراء المعارضين للفكرة القومية - بناء على حجج دينية - ظلت تسيطر على أذهان الكثيرين مدة طويلة ، وبذلك أعادت كثيرا نشوء الفكرة القومية في البلاد العربية » (٣).

«ان الديانة الإسلامية لعبت دوراً هاماً في تقدم القومية العربية وتوسيعها . لأنها أولًا : كانت «القومية الدافعة» للفتوحات العربية ، التي نشرت اللغة العربية ، ووسعـت نطاق القومية العربية .

ثانياً : صارت «القومية الواقعية» التي أكـسبـت اللغة المذكورة نوعاً من «المناعة» ضد عوامل التفرع والتفتت ، وصـانت بذلك القومـية العـربـية من الانـسـطـار فـي عـهـد انـحـاطـاطـها الطـوـيلـ، ولـكـنـ ذلك لا يـعـنـى: أنـ القـومـيـة العـربـيـة ظـلـتـ مرـتـبـطـةـ بالـدـيـانـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ لأنـهـ: قد تكونـتـ أـمـ إـسـلـامـيـةـ غـيـرـ عـربـيـةـ منـ نـاحـيـةـ، وجـمـاعـاتـ عـربـيـةـ غـيـرـ مـسـلـمـةـ منـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ» (٤).

وقد استشهد ساطع الحصري بأحد الأبيات الشعرية ليوضح لنا بجلاء علاقة القومية بالإسلام :

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلا وسهلا بعده بجهنم (٥).  
وفي هذا الموضوع يقول إلياس مرقص : «الإسلام أسهم في تكون قومية عربية في إطار جغرافي - تاريخي - معلوم ومحدود ... كما أن الإسلام أسهم في تكون قوميات عديدة في آسيا وإفريقيا وأوروبا ، يفوق تعداد أفرادها عدة مرات تعداد أفراد القومية العربية ... اذا فالإسلام لم يكن قومية عربية اسلامية واحدة . بل أكثر من ذلك » (٦) .

يرى الدكتور عبد الله السامرائي في كتابه «الإسلام والقومية والاسلام والامة» أن الرسالة الاسلامية عملت على تهذيب الشعور

القومى وتنقيته من الشوائب العنصرية والصعود بالاتجاه القبلى من بؤرة الصراع والتعصب الى آفاق الوحدة القومية الجامعة . كما عملت الرسالة الإسلامية على تحريك الولاء القومى والترابط بين أبناء الأمة الواحدة من دائرته القومية الى الدائرة الإنسانية على اعتبار ان الدائرتين تكمل احدهما الأخرى حيث إن الدائرة القومية ذاتها تقوم على وحدة الإنسان ووحدة الأمة وان هذا الإنسان واحد في القيمة عند سائر الأمم .... ولما كان الإسلام الرسالة الخاتمة وهو للناس جمیعا فإن كل شعب يؤمن بهذه الرسالة ويعمل بها يتحول إلى أمة ... فعندما يؤمن الفرس بالإسلام يجعل منهم أمة فارسية وعندما يؤمن الأتراك به يصير هذا الشعب أمة تركية وعندما يؤمن البنغاليون بالإسلام يصير - الأمة البنغالية - وهكذا بالنسبة لكل شعب . ومن أجل تسمية هذه الأمم تسميات دقيقة وربط هذه التسمية بالنظرية التي كانت وراء قيامها فتسمى تلك الأمم باسماء أقوامها ولغاتهم مضافا اليها -اسم الإسلامية - فتكون هناك أمة فارسية إسلامية وأمة تركية إسلامية وأمة بنغالية إسلامية وهكذا ... ونظرا لأن لغة الرسالة الخاتمة هي العربية ولغات هذه الشعوب غير العربية فان إيمان هذه الشعوب بالإسلام يصيرهم أهاما ولكن لا يصيرهم قوميات .... لأن اللغة أهم عنصر من عناصر التكوين القومى . إن تفاعل الرسالة الخاتمة مع العرب حولهم الى أمة عربية إسلامية وان هذا التفاعل حولهم إلى قومية عربية....وذلك لأن لغة القرآن هي العربية وان اللغة اهم ركن من أركان التكوين القومي » (٧) .

واضح من المقتطفات السابقة مدى التناقض والتخييب تارة وعدم الوضوح تارة اخرى ، وعلى الذي يود أن يرى المزيد حول عداء أبطال القومية للاسلام ان يطلع على مؤلفات الكاتب ساطع الحصري ، والأمير مصطفى الشهابي ، والدكتور محمد معروف

الدؤاليبي ، والذى يود أن يعي أهم الدوافع الكامنة وراء إذكاء روح القومية العربية ان يطلع على كتاب « اعمدة الحكم السبعة » للمؤلف ت . ألورانس .

يقول شيخ جامع الأزهر السيد محمد مصطفى المراغي :

« غير خاف عليكم ان الدين لم يذهب الى العصبية الجنسية ولم يفرق بين العربي وغير العربي ، وجعل الامة الاسلامية واحدة ، لا فرق بين أجناسها»(٨).

ويبدو بوضوح رأي أبي الأعلى المودودي رحمه الله حول هذا الموضوع في كتابه « الأمة الاسلامية وقضية القومية » حيث يقول: ان من يبحث عن معنى القومية وحقيقةيتها بحثا سريعا خاطفا ، لا يمكن أن يخفى عليه ان الإسلام والقومية يتعارضان معا من حيث روحاهما وهدفاهما ، فالإسلام يخاطب الإنسان ويتعامل معه من حيث كونه إنسانا ، فهو يقدم للبشرية جموعا نظاما اجتماعيا للعدل والتقوى ، يقوم على أساس عقائدي وأخلاقي ، ويدعو جميع البشر الى هذا النظام ، وهو يضم من يقبل هذا النظام الى دائرته ويتمنى بحقوق متساوية مع الجميع ، ولا يكون هناك أي مجال لتفرقة أو تمييز من أي نوع طبقيا كان أو جغرافيا ، قوميا كان أو عرقيا ، بين من يتبع عقيدة الإسلام ، في مجال العبادات أو مجال الاقتصاد أو السياسة أو الحقوق والواجبات أو في مجال آخر من مجالات الحياة . فهدف الإسلام النهائي هو إقامة دولة عالمية تحظى فيها جميع سلاسل التicsubcultures العرقية والقومية ، ويقام فيها نظام مدنى وسياسي ويشارك فيه البشر جميعا بحقوق وفرص للرقي متساوية ، ويحل التعاون الأخوي محل المواجهة العدائية حتى يقوم الناس بمساعدة بعضهم بعضا في تطورهم المادى والروحانى ، ان نظام الأصول والمبادئ ونظم الحياة التي وضعها الإسلام للفلاح البشري ، يمكن لها أن

تجذب الناس عامة حين يخلون أنفسهم من عصبيات الجاهلية ، وحين يطهرون أنفسهم من التعلق بمثلهم القومية، وعاطفة التفاخر العرقي، والمحبة القائمة على علاقات الدم والترب، ويصبحون على استعداد للإجابة على هذه الأسئلة كثيرون ليس إلا : ماهو الحق ؟ أين يكمن العدل والإنصاف ؟ ماهو طريق فلاح البشرية ورخائها من حيث المجموع لا من حيث كونها طبقة واحدة أو أمة واحدة أو بلد واحد ؟ وعلى العكس من هذا فان القومية تفرق بين الإنسان والإنسان على أساس قوميته ، فمعنى القومية هو ان يفضل القوميون في كل أمة قوميتهم على جميع القوميات الأخرى ، وأن يكون هذا القومي قوميا ظالما عدوانيا لأن من مستلزمات القومية أن يفرق على الأقل بين القومي وغير القومي من الناحية الحضارية والسياسية والقانونية ، فيحفظ لأهل أمتة أكثر الإمكانيات ، كما يقوم بالحفاظ على المثل التاريخية والعصبية التي تقوم عليها قوميته ، ويرعى ما يدخله من عواطف الفخر والتفاخر القومي ، فهو لن يشرك معه أهل القوميات الأخرى في أي مجال من مجالات الحياة على أساس متساوية ، وأنه من الواجب أن تتمتع أمتة بفوائد ومنافع أكثر من الأمم الأخرى فإن قلبه يعمي عن العدل والإنصاف ، فهدفه النهائي هو إقامة الدولة القومية ، بدلا من الدولة العالمية ، ولو حدث واحتار نظرية عالمية فان شكلها يكون بالضرورة شكلا استعماريأ أو قيصريأ لأن اهل القوميات الأخرى لا يمكن ان ينضموا الى دولته ويتمتعوا بالمساواة ، بل يمكنهم ان ينضموا الى دولته كخدم فيها ... يتضح بسهولة ان هذين المنهجين متعارضان متضادان ، فحيث توجد القومية لا يمكن للإسلام أن ينمو ، وحيث يوجد الإسلام ، لا يكون هناك مكان للقومية، فمعنى نمو القومية هو ان يغلق الطريق أمام انتشار الإسلام ، ومعنى نمو الإسلام هو اقتلاع جذور القومية من أساسها ، والآن أصبح

من الواضح أن الشخص الواحد الذي يدافع في وقت واحد عن نمو هذين المنهجين معا ، إنما هو يعارض نفسه ، فلا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يركب شخص قاربين لكل منهما اتجاه معاكس وفي آن واحد . ان من يدعى تبعيته لمنهج ، ومع هذا يدافع عن منهج آخر يخالفه تماما يعبر عن اضطرابه الذهني ونرى أنفسنا مضطرين أن نقول من يقوم بهذا ، لأنه لا يفهم الإسلام ، أو أنه لا يفهم القومية ، أو أنه يجهل الإثنين معاً » (٩) .

بعد أن عرضنا الآراء السابقة وما تحمل في طياتها من أفكار متضاربة حول العلاقة بين الإسلام والقومية ، فلا مندوحة لنا من الرجوع إلى الجذور التاريخية للإسلام وال القوميّة ونرى كيف كانت العلاقة بينهما عبر التاريخ لنصل في النهاية إلى حقيقة العلاقة بين الإسلام وال القوميّة ونوعيتها .

بين لنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أنه خلق آدم وزوجه حواء في عالم الغيب ، وطلب من الملائكة أن تسجد لآدم عليه السلام فسجدوا جمِيعاً إلا إبليس أبي واستكبر ، وكانت حجته الواهية أنه خلق من مادة ومعدن أفضل من المادة التي خلق منها آدم ، حيث أنه خلق من نار وآدم عليه السلام خلق من طين ، وقد خلق الحق سبحانه وتعالى آدم من طين ونفخ فيه من روحه جلت وتعالت قدرته ، وخلق من نفس آدم زوجه حواء وقال لهما أسكنا الجنة ولا تقربا تلك الشجرة وإياكم وعدوكم إبليس أن يخرجكم من الجنة كيدا وعدوانا منه لآدم وزوجته . غير أن إبليس استطاع أن يغوي آدم وحواء ويكون سبباً في إخراجهما من الجنة . فقد أمر الحق سبحانه وتعالى بهبوط آدم وحواء وعدوهما إبليس إلى عالم الشهادة ( عالم الحس ) بعضهم لبعض عدو . وقد وعد الحق سبحانه وتعالى رحمة وتلطيفاته ذرية آدم أن يبعث لهم هدى ينير لهم سبل الخير والرشد

ويقوى من قدرة الانسان ويشد ساعده في مقاومة عدوه اللدود بليس . كما بين الحق سبحانه وتعالى ان هذا الهدي بعثه سبحانه وتعالى ليخرج الناس من الظلمات الى النور . وأن من يؤمن بهذا النور سيكون له الفوز العظيم ، والذي يصدق عنه يكون له الها لاك والخسران المبين كما بين الحق سبحانه وتعالى ان هذا الهدي سيأتى الى بني آدم عن طريق رسل منهم يقصون عليهم آيات الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى: ﴿ يَا بْنَ آدَمَ إِنَّا يَأْتِيْكُم مَرْسُلًا مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا فَمَنْ اتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٠) .

وقد يَبْيَنُ لنا البارى سبحانه وتعالى مهمة هؤلاء الرسل بأنهم مبشرون للذين آمنوا بهذا الهدي الالهي المنير ومنذرين للذين ابتعدوا عن النهج الالهي وأنكروا المصير الذي سوف يلاقيه كل طرف في اليوم الآخر . وهذا جمیعه يقفل الطريق أمام الناس في اليوم الآخر من التذرع بالحجج الواهية يوم الوقوف أمام الحق سبحانه وتعالى .

قال تعالى: ﴿ رَسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١١) .

وقد شاءت حكمته سبحانه وتعالى أن يبعث كل رسول إلى قومه بلسانهم وعلى أرضهم التي يعيشون عليها ليقطع على الانسان التبحث والتذرع بحجج واهنة ، فإذا ما أرادوا أن يتذرونوا برابطة الدم ونظرية العرق فالرسول يكون منهم ، وإذا أرادوا أن يحتجوا على عامل اللغة ، فالرسول جاء بلغتهم ، وإذا أرادوا أن يرفعوا ضد الرسول شعار الأرض والوطن ، فالرسول جاءهم على أرضهم وفي

وسط منازلهم . قال تعالى : ﴿ وَمَا أُرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمٍ لِّيَبَيِّنَ لَهُمْ فَيَضْلُلُ اللَّهُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٢) .

ولقد واجه رسل الحق عليهم السلام جميعاً من أقوامهم أشد أنواع الأذى ، والسخرية ، والاستهزاء ، والتكميل ، والطرد ، والعداء ، والقتال . وهذا ما سنوضحه من خلال عرض بعض النماذج لما حصل مع بعض رسل الحق سبحانه وتعالى .

إن أول رسول بعث إلى قومه ليقودهم إلى سبيل الخير والرشاد هو سيدنا نوح عليه السلام لحاجة قومه الماسة لمن يبين لهم طريق الخير والصلاح بعد أن دب بينهم الفساد . وقد جاء ذكر سيدنا نوح عليه السلام في القرآن الكريم في سورة الأعراف ، وسورة يونس ، وسورة هود ، وسورة « المؤمنون » ، وسورة الشعراء وسورة نوح .

« كان الناس بعد آدم عليه السلام يعيشون أمة واحدة على بساطة وسذاجة ، وهم على الفطرة الإنسانية حتى فشا فيهم روح الاستكبار وآل إلى استعلاء البعض على البعض تدريجياً واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً ، وهذه هي النواة الأصلية التي لونت أخلاقها وأحيضرت وأينعت لم تثمر إلا دين الوثنية والإختلاف الشديد بين الطبقات الاجتماعية باستخدام القوى للضعف ، واسترقاق العزيز واستدراره للذليل ، وحدوث المشاجرات والمنازعات بين الناس . فشاع في زمان سيدنا نوح عليه السلام الفساد في الأرض ، وأعرض الناس عن دين التوحيد وعن سنة العدل الاجتماعي ، وأقبلوا على عبادة الأصنام ، وقد سمي الله سبحانه وتعالى منها ودا وساواع ويغوث ويعوق ونسرا ... وتبااعدت الطبقات ، فصار الأقوياء بالأموال والأولاد يضيّعون حقوق الضعفاء ، والجبارية يستضعفون من دونهم

ويحكمون عليهم بما تهواه أنفسهم . فبعث الله سبحانه وتعالى نوح عليه السلام وأرسله إليهم بالكتاب والشريعة يدعوهم إلى توحيد الله وخلع الأنداد والمساواة بينهم » (١٣) .

إن الحق سبحانه وتعالى بين لنا في كتابه الحكيم بعثة سيدنا نوح إلى قومه حيث قال سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيهِمْ عَذَابُ الْأَلِيمِ ﴾ (١٤) .

واضح من الآية الحكيمية السابقة أن الحق سبحانه وتعالى بعث بسيدنا نوح إلى قومه لينذرهم قبل أن يقع عليهم العذاب وإن يعودوا إلى رشدهم ولا يناهضوا فطرتهم بانسياقهم وراء شهواتهم . وسوف نعرض الآيات القرآنية الحكيمية التي تدل على الرسالة التي نقلها سيدنا نوح إلى قومه ، لنعرف بالتحديد إلى أي شيء كان يدعوهم سيدنا نوح عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَنْ اعْبُدُ اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ . يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذَنْبِكُمْ وَيُؤْخِرُكُمْ إِلَى أَجْلٍ مُسْمَى ، إِنَّ أَجْلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤْخِرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥) .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُ اللَّهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٦) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (١٧) .

إن سيدنا نوح عليه السلام كما هو واضح جلي في الآيات السابقة كان يدعو قومه إلى العودة إلى دين التوحيد والفطرة بعد أن

انتشر الفساد بينهم وأخذت عبادة الأصنام شأنها بينهم . انه ينذرهم بالعذاب في إطار الحبة لهم والخوف عليهم منه ان لم يغيروا من حالهم أنه يهدف إلى أن يقودهم الى طريق الحق والإيمان بالله سبحانه وتعالى خالق البشرية وجماعها الى يوم الدين . وسوف نعرف بالتحديد موقف قوم نوح من سيدنا نوح عليه السلام من خلال عرض الآيات القرآنية الحكيمية التالية :

قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمُلُوْكُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَا لَنَرَاكُ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٨) .

قال تعالى ﴿ فَقَالَ الْمُلُوْكُ مَنْ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكُ إِلَّا بِشْرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكُ اتَّبَعْتُ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوكُنَا بِأَدَيْرِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (١٩) .

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا لَعْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونُنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (٢٠) . وقال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْنَا فَأَكْثَرْتَ جَدَالَنَا فَأَنْتَنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢١) .

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَنْوَمْنَ لَكَ وَاتَّبَعْتُ الْأَرْذُلُونَ ﴾ (٢٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبَارًا . وَقَالُوا لَا تَذَرْنَ آلَهَتُكُمْ وَلَا تَذَرْنَ وَدَّا وَلَا سَوَاعِدًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) .

في الوقت الذي كانت فيه نفس سيدنا نوح عليه السلام تتطرق إلى إخراج قومه من الظلمات إلى النور عن طريق توجيههم إلى بارئهم والابتعاد بهم عن الأصنام الصماء التي اتخدوها آللة لهم حيث خاطبهم بكل رفق وفصاحة موضحا لهم جميع المداخل التي تقودهم إلى الإيمان ذهبوا إلى توجيه التهم لشخص سيدنا نوح عليه السلام

والى من اتبعه من قومه وهددوا سيدنا نوح عليه السلام بالرجم إن لم ينته عن دعوته لهم بأن يتركوا الأصنام ويتوجهوا إلى الله سبحانه وتعالى . وقد مكروا مكرًا شديداً وتوافقوا على التمسك بأصنامهم كونها من آثار الآباء والأجداد ، إن الخلاف بين سيدنا نوح عليه السلام من جهة وبين قومه من جهة أخرى يدور حول قضية التوحيد التي فطر عليها الناس جميعاً . والشيء الغريب أن قوم نوح قد رفعوا في وجه سيدنا نوح وهم يكذبونه ، ويجادلونه ، ويهددونه شعار آثار الآباء والأجداد المتجسدة في الأصنام التي كانوا يعبدونها في الوقت الذي كانوا فيه يسخرون من سيدنا نوح ومن اتبعه بالرغم من أن نوح عليه السلام والذين اتبعوه من نفس القوم ، وكانوا يتحدثون نفس اللغة . ويقطنون نفس المكان . فماذا تعني البراءة من هؤلاء الذين يعيشون بين ظهرانيهم ولا يريدون لقومهم إلا كل خير وكل ما يؤدي إليه وفي نفس الوقت يتواصون فيما بينهم بالإلتزام التام بالآلهة التي ورثوها عن الآباء والأجداد . وهل كان سيدنا آدم وزوجه عليهما السلام على دين التوحيد أم على دين آلهتهم وأصنامهم . فهم لا يريدون دين الآباء والأجداد ، ولو كانوا يريدونه لاتبعوا دين التوحيد الذي عاشه سيدنا آدم وحواء . وفي نفس الوقت لا يريدون أن يتبعوا الحق الذي صرّح به سيدنا نوح بلغتهم وعلى أرضهم وكان في نفس الوقت واحداً منهم . فهذا الدليل الأول على رفع شعار القومية المتمثل فيما ورثوه عن الآباء والأجداد فقط للوصول إلى شهواتهم وأغراضهم الذاتية في وجه الحق وأتباعه .

وقال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَا وَجَدْنَا آبَاءِنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مَهْتَدُونَ . وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا إِنَا وَجَدْنَا آبَاءِنَا عَلَى أُمَّةٍ وَلَنَا عَلَى آثَارِهِمْ مَقْتَدُونَ . قَالَ أَوْلَوْ جَعْلَتُكُمْ بِأَهْدِي مَا

وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَا هَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ<sup>٢٤</sup> (٢٤)

واضح من الآيات السابقة أن هذا الشعار قد رفعه الكافرون بالحق الذي بعثه الله سبحانه وتعالى ضد رسلي الحق الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى بالهدى والنور رحمة للعالمين . وفي كل مرة يتذرون عن بالفساد وعبدية الأصنام التي ورثوها عن آبائهم الذين يمثلون القسم المنحرف من الناس عن دين الفطرة . وبعد أن استنفذ سيدنا نوح عليه السلام جميع وسائل الحوار مع قومه ولم يؤمن له الامن آمن من قبل فقد جاءهم الله سبحانه وتعالى بالطوفان ليهلك به الكافرين وينجى الحق سبحانه وتعالى سيدنا نوح ومن معه بالفلك الذي كان يصنعه سيدنا نوح أمام أعين الكافرين وهم يسخرون منه ، وهو يقول لهم ستعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

إن الوسائل القومية التي تجمع سيدنا نوح عليه السلام مع قومه يجب أن تعكس ذاتها في نفوس القوم وفي جميع أنماطهم السلوكية نحو رسول القوم الذي هو منهم وجاءهم بلغتهم وعلى أرضهم يدعوهم إلى سبيل الخير والرشد . يجب أن يكون هذا الرسول مصدر إعجاب واعتزاز عند القوم الذين يفخرون بأجدادهم وأبائهم حقا . ولكن محاربتهم للفكر الذي يدعو إليه سيدنا نوح جعلهم يسخرون من سيدنا نوح ومن معه ويكتذبونه ويهددونه بالرجم إن لم ينته عن دعوتهم إلى دين التوحيد والفطرة . وكأنهم لا تربطهم صلة قربي بنوح ومن معه ، وقد وصلت درجة العناد لهذا الفكر الذي يدعو إليه سيدنا نوح ذروتها عندما انسليخ عن سيدنا نوح ابنه وزوجته ورضيا مع الكافرين المغرقين بالطوفان .

وهكذا انتهى الجموع الفاسد المناهض للفطرة عن الوجود المادي بهلاكهم بالطوفان ، وبقي الجموع المؤمن وعلى رأسه سيدنا نوح عليه السلام . وبعد مرور السنين دب الفساد بين الناس فبعث الحق

سبحانه وتعالى بسیدنا هود إلى قومه عاد يدعوهم إلى الابتعاد عن الفساد ودروبه والتوجه إلى الحق سبحانه وتعالى . وسوف نورد الآيات التي توضح لنا دعوة سیدنا هود إلى قومه لنرى إلى أي شيء كان يدعوهم سیدنا هود كانوا يواجهونه .

قال تعالى :

﴿ وَالَّتِي عَادُوا أَخْاْهِمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَقَوَّنُ . قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لِنَرَاكُ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . قَالَ يَا قَوْمَ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكُنِّي رَسُولُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَبْلِغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَإِنَّا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (٢٥) .

قال تعالى :

﴿ وَالَّتِي عَادُوا أَخْاْهِمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ . يَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَيِّ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيَّهِ يَرْسُلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْنَا مُجْرِمِينَ . قَالُوا يَا هُودٌ مَا جَعَلْنَا بَهِبَةً وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلهَتَنَا عَنْ قُولَكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنَّا نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضَ آلهَتَنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهُدُ اللَّهَ وَاشْهُدُوا أَنِّي بِرَبِّي إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ . ﴾ (٢٦)

تدل الآيات السابقة بوضوح على أن سیدنا هود كان يدعو قومه إلى عبادة الله وحده وخلع الأنداد بالابتعاد عن الأصنام التي عادوا إليها بعدما دب الفساد بينهم ثانية ، بالرغم من أن الأصنام وعيدها قد انتهى أمرهم بالطفوان الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى على قوم نوح ، ولكن الفساد الذي دب ثانية بين الناس جعلهم

يتوجهون نحو عبادة الأصنام من دون الله سبحانه وتعالى ، لذلك خاطبهم سيدنا هود عليه السلام أن يستغفروا ربهم ويعودوا إلى عبادته وأنه الناصح الأمين لهم في هذه الدعوى . فما كان جواب قومه إلا أن هاجموه بشدة واتهموه بالضلال ، والسفه ، والكذب ، والجنون ، والشيء المذهل والعجيب أنهم سخروا منه ومن الشيء الذي يدعوهم إليه وهو عبادة الله، فقالوا كيف نعبد الله وحده ونذر جانباً ما كان يعبد الآباء والأجداد إن الآباء والأجداد بالنسبة لهم هم أصلاً سيدنا نوح ومن كان معه من الجمع المؤمن الذين نجاهم الله سبحانه وتعالى من الطوفان ولكن عندما دب الفساد بينهم بعث الله سبحانه وتعالى لهم سيدنا هود ليقودهم إلى طريق الخير والرشاد ، وللذين احتاجوا عليه باللهة الفاسدين من آبائهم وأجدادهم ، وهكذا رفع شعار الآباء والأجداد ثانية بوجه سيدنا هود عليه السلام لمقاومة الحق الذي يدعوه إليه .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَجْهَنَا لَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذِرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتَنَا بِمَا تَعْدَنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢٧).

وما تجدر الإشارة إليه أن قوم عاد كانوا من العرب الذين سكنوا الجزيرة العربية.

وقد بعث الله سبحانه وتعالى بسيدنا صالح عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله والابتعاد عن الأصنام التي اتخذوها آلهة لهم من دون الله ، وقد جاءهم بالناقة التي طلبوا من سيدنا صالح أن يخرجها لهم من الصخرة المقدسة عندهم ليؤمنوا به بما يدعوهم إليه ، حيث كانوا يعظمون تلك الصخرة ويدبرحون عندها القرابين في رأس كل سنة ، فآخر جها الله لهم كما طلبوا ، ناقة عشراء تخرج لهم من الصخرة المقدسة عندهم فنكذبوا سيدنا صالح عليه السلام وعقروا

الناقة واستحقوا على ذلك غضب الله سبحانه وتعالى فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين جزاء تكذيبهم لرسولهم وعقرروا الناقة التي أمروا أن لا يمسوها بسوء .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثُمودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمِرُكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّيْ قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٢٨) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثُمودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَ أَرْبَعِكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَإِنَّا نَعْلَمُ كُمْ عَذَابَ الْآيَمِ . وَإِذْ جَعَلْتُمْ خَلْفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحَتُونَ الْجَبَالَ بِيُوتًا فَإِذْ كَرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . قَالَ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِ الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا لَمْ يَأْمُنْ مِنْهُمْ أَنْ يُتَعْلَمُوا أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَا بِمَا أُرْسَلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحًا إِنَّا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَأَخْذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ . فَتَوْلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّيْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكُنْ لَا تَخْبُونَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٢٩) .

ومن العجيب جداً أن أساليب أقوام الرسل وشعاراتهم هي متشابهة بصورة كبيرة ، فالذين كفروا برسالة سيدنا صالح وطعنوا في صدقه ، ذهبوا ليعلنوا تمسكهم بعبارة - ما كان يعبد الآباء والأجداد -، بالتحديد كما فعل من قبلهم من الأقوام .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا صَالِحٍ قَدْ كُنْتَ فِيْنَا مُرْجُوا قَبْلَ هَذَا أَتْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِيْ شُكْرٍ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴾ (٣٠).

وهذا يدل بوضوح على أنهم كانوا فقط يتتمون إلى الكفار والفاشدين من آبائهم وأجدادهم الذين انحرفو عن الفطرة الإنسانية التي فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها ، لذلك فإنهم لا يعترفون بدين آدم ، ونوح ، وهود عليهم السلام ولا الذين اتبعوهم من أقوامهم ، كما لا يعترفون بهم أنهم من الآباء والأجداد .

قد بعث الله سبحانه وتعالى برسولنا إبراهيم إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ويتخلوا عن عبادة الأوثان التي اتخذوها من دون الله ، وقد بين لهم بكلفة الطرق والوسائل عدم جدوا عبادة الأوثان وفي كل مرة لا يجد من قومه إلا العناد والابتعاد عن الحق والتمسك بأوثان الآباء والأجداد .

قال تعالى :

﴿ وَاتَّلَ عَلَيْهِمْ نَبِأً إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَرَ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (٣١) .

وقال تعالى :

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَإِنْتُمْ تَأْتِيُونَ رِزْقًا وَأَنْتُمْ ذَلِكُمْ وَأَشْكِرُوا لِهِ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ . وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَبْتُ أُمَّ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ . ﴾ (٣٢) .

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلِ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كَتَمْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . ﴾ (٣٣).

واضح من الآيات السابقة حرص سيدنا إبراهيم على هداية قومه وما كان يرجوه منهم وهو التوجه إلى خالقهم سبحانه وتعالي وخلع الأنداد التي أشركتوها مع الله سبحانه وتعالي ، وما كان من قومه إلا أن تمسكوا بأصنام الآباء والأجداد كما يعلنون وتكتافوا على قتل سيدنا إبراهيم أو حرقه في النار ، وقد نجاه الله سبحانه وتعالي من كيدهم .

قال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جوابُ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنْ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . ﴾ (٣٤).

واضح من سلوك الأقوام الأربع السابقة مع رسول الحق عليهم السلام أن هناك تشابها كبيرا في شعاراتهم وموافقهم اتجاه الحق ، ففي كل مرة يظهرون لرسولهم الذي جاء لإنقاذهم من الفساد الذي استشرى بينهم ، العناد ، والتکذيب ، وإلقاء التهم ، والعزم على قتله أو طرده هو ومن اتباهه من القوم ، وفي الوقت نفسه يرفعون شعار القومية المتمثل بعبادة الأوثان والأصنام التي كان يقدسها آباؤهم وأجدادهم ، وبين لنا القرآن الكريم تلك المواقف والشعارات التي كان يرفعها كل قوم في وجه رسلي الحق في الآيات القرآنية الحكيمة التالية :

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبِيًّا مِّنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحَ وَعَادَ

وَثُمَّ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أَرْسَلْتَ بِهِ وَإِنَّا لَنَحْنُ شُكُّرُّمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مَرِيبٌ . قَالَ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شُكُّرٌ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذَنْبِكُمْ وَيُؤْخِرُكُمْ إِلَى أَجْلٍ مَسْمُىٌّ قَالُوا إِنَّ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تَرِيدُونَ أَنْ تَصْدُونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آباؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٥﴾ .

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَئَ بِرَسُولِنَا مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزَءُونَ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَدِّينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

قال تعالى :

﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغِيونَ . فَتُولُّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ ﴿٣٧﴾ .

وعلى هذا النهج العقيم الذي ينم على جهل الأقوام بقيمة رسائل الحق سبحانه وتعالى وما جاءوا به هداية لهم ، ذهبوا لمقاومة رسول الله بشتى الطرق والوسائل التي عرفها البشر بالرغم من وضوح دعوتهم وثبتت مصداقيتهم ، وقد كانت حجة كل قوم انهم لا يريدون أن يتبعوا عن دين الآباء والأجداد المتمثل بعبادة الأصنام والاعتقاد بالأوهام التي تناسب أهواءهم وأمزاجتهم ، إن جميع المكائد والشرور المستطيرة كان يخططها كل قوم ضد رسولهم بالرغم من المعجزات التي كان يجريها الحق سبحانه وتعالى على أيدي رسليه لتكون أدلة ساطعة مشترقة على صدق دعواهم ، هذا بجانب العدد الهائل من الطلبات التي كان يشترطها كل قوم على رسولهم لكي

يؤمنوا له ، ومن المؤسف حقاً أنه كلما تم تلبية هذه الطلبات ازداد القوم نفوراً وبعداً عن رسولهم الكريم ونهجه القويم الذي يدعوه إليه ، وكلما حصحص الحق أمام أعينهم ازداد القوم غيظاً على رسولهم وأخذوا يقذفونه بالتهم الباطلة المغرضة ، ويخططون إلى طرده من بينهم أو قتله ، إن القرآن الكريم يفيض بهذه القصص المفجعة التي كان يقوم بها الإنسان عبر تاريخه ضد أصنفاء البشر الذين اختارهم الحق سبحانه وتعالى ليكونوا المبشرين والمنذرين للإنسان لكي يفوز بنعيم الدنيا والآخرة وقد شاءت حكمته سبحانه وتعالى أن ختم المدد الرسالي بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث بعثه بالاسلام الى الناس كافة بالرغم من أن القرآن نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم في اللغة العربية وأنه عليه الصلاة والسلام ينحدر من أصل عربي .

قال تعالى :

**﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جمِيعاً**  
**الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي**  
 **ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله**  
 **وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ (٣٨).**

وعندما بعثه الحق سبحانه وتعالى في مكة كان العرب حينئذ يعيشون في عهد الجاهلية ، وقد كان أسلافهم الأقدمون و منهم عاد و ثمود على دين الوثنية ، وهذا ما أخبرنا به الحق في كتابه المنير عن قوم هود و صالح وعن أهل سبا في قصة سليمان والهدى حتى جاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة وكانت تسكنها قبيلة جرهم ، وبني سيدنا إبراهيم عليه السلام الكعبة البيت الحرام . ثم تهود بعض الأعراب لعشرة كانت بينهم وبين اليهود النازلين بالحجاج وتسربت النصرانية إلى بعض أقطار الجزيرة ،

والمحوسية إلى بعضها الآخر ، وكان مما يقربهم إلى الوثنية أن الكعبة المشرفة كان يعظمها اليهود والنصارى والمجوس والوثنية جمِيعا ، فكان لا يأتي مكة زائر إلا حمل معه شيئا من حجارة الحرم تبركا وتيمنا . وكان من الأصنام المعروفة بينهم هبل ، وإساف ، ونائلة وهي التي أتى بها عمرو بن لحي من بلاد الشام ، واللات والعزى ، ومناة ، وود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ونسر ، وقد كانت عقائدتهم وعاداتهم الوثنية تتشق من عدة مصادر ، وهي وثنية الصابئة والديانة البرهمية ، والدين الحنيف وهو إسلام سيدنا إبراهيم ، هذا بجانب أمور اختلفواها من عند أنفسهم كالقول بالسائبة ، والوصيلة ، والبحيرة ، والأنصاب ، والأزلام ، إلى غيرها من الأمور .

« لم يكن العرب يجحدون الله ولكن كانوا لا يعرفونه بحقيقة التي وصف بها نفسه : أحد ، صمد ، فكانوا يشركون به ولا يقدرون له حق قدره ، ولا يعبدون له حق عبادته ، كانوا يشركون به هذه الأصنام التي يرمزنون بها إلى أسلافهم من الصالحين أو العظماء ، أو يرمزنون بها إلى الملائكة . وكانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله ، ... ولقد حكى القرآن عنهم ، أنهم كانوا يعترون بخلق الله للسماءات والأرض ، وتسخيره للشمس والقمر ، وإنزاله الماء من المزن ... ولكنهم مع إيمانهم بالله كان الشرك يفسد عليهم تصوّرهم كما كان يفسد عليهم تقاليدهم وشعائرهم ، فيجعلون للآلهة المدعاة نصيبا في زرعهم وأنعامهم ونصيبا في أولادهم ... وكانوا يعتقدون أنهم على دين إبراهيم ، وأنهم أهدى من أهل الكتاب ، الذين كانوا يعيشون معهم بالجزيرة العربية ، لأن اليهود كانوا يقولون : عزير ابن الله ، والنصارى يقولون : عيسى ابن الله ، بينما هم كانوا يعبدون الملائكة والجن على اعتبار قرابتهم من الله بزعمهم ، فكانوا يعدون أنفسهم أهداى ، لأن نسبة الملائكة إلى الله ونسبة الجن كذلك أقرب من نسبة

عزيز وعيسى ... وكله شرك ، وليس في الشرك خيار . ولكنهم هم كانوا يحسون أنفسهم أهدى وأقوم طريقاً» (٣٩).

ولقد بين لنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه المكتوب جميع ما نود أن نعرفه عن بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالرسالة وأهدافها ، وجميع ذلك يبدو واضحا في الآيات الحكيمية التالية :

قال تعالى :

﴿ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ رُوحَ الْأَمْرِ . عَلَى قُلُوبِكُمْ لِتَكُونُوا مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلْسَانَ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٤٠).

وقال تعالى :

﴿ وَكَذَّلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتَنذِرَ أُمَّةَ الْقَرْيَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتَنذِرْ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٤١).

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِثْلَ لِعْلَمِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ . قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ لِعْلَمِهِمْ يَتَعْقِلُونَ ﴾ (٤٢).

وقال تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِعَلْكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٤٣).  
وبالرغم من نبل الرسالة وطهارة حاملها وما كان صلوات الله عليه يتمتع به من مكانة عالية في أعين قومه حيث كان موضع ثقتهم ومكان أماناتهم ، وعاش طيلة الفترة السابقة من عمره وهو الملقب بالأمين بينهم فإنهما كذبوه أشد تكذيب وقاوموه أشد مقاومة بشتى الطرق والوسائل التي كانت معروفة لديهم بعد أن فشلوا في احتوائه صلوات الله عليه عن طريق تقديم العروض المادية والمعنوية ليكشف عن دعوتهما (دين الآباء والأجداد). وعندما فشلوا في احتوائه حيث

وقف صلوات الله عليه كالطود الشامخ أمّا قريش وصلفها يدعو الناس إلى دين الحق والتوحيد بلسان عربي مبين ، ذهبو إلى الانتقال للمرحلة الثانية من مقاومته حيث عرضوا عليه صلوات الله وسلامه عليه الالتقاء في منتصف الطريق ، وهذا يعني أن يتنازل كل طرف عن حق من حقوقه أو عن جزء مما عنده للطرف الآخر ، وبهذا لا بد لكل طرف من أن يتنازل عن جزء من دينه ويقبل مكانه جزءاً من دين الطرف الآخر .

« في الدر المنشور أخرج ابن حجر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف عن سعيد ابن مينا مولى أبي البختري قال : لقى الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد هلمن فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ولنشارك نحن وأنت في أمرنا كله فإن كان الذي نحن عليه أصح من الذي أنت عليه أصح من الذي نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظاً فأنزل الله :

﴿ قل يا أيها الكافرون لا تعبدون ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما تعبدون . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما تعبدون . لكم دينكم ولهم دين . ﴾ (٤٤).

وعندما فشلت العرب في الالتقاء بمنتصف الطريق مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما نزلت سورة «الكافرون» ذهبت قريش إلى إيزاد النبي صلوات الله عليه شخصياً ومن تبعه من القوم أشد الإيذاء ، ومكروا به وبأتباعه كل مكر وهو صاحب الخلق العظيم كما وصفه الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ، ويكتفي أن نذكر موقفه من أهل الطائف عندما طلب منه جبريل عليه السلام أن يطلب ما يريد انتقاماً لما فعله أهل الطائف بالنبي الكريم عندما ذهب إليهم قبل الهجرة ليدعوهم إلى دين التوحيد ، فما كان منه صلوات الله عليه

إلا أن قال لعل الله يبعث من أصلابهم من يؤمن بهذا الدين ، وكل هذا الخلق الرفيع الذي كان يتمتع به المصطفى صلوات الله عليه لم يبعد عنه وعن أتباعه شرور قريش ومكائد القوم ، فقد خططوا لقتله بعد أن فشلوا في تثبيته ، ومن شدة المعاناة والعقاب الذي يتعرض له من يؤمن به من القوم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لقسم كبير من أتباعه بالهجرة إلى بلاد الحبشة ، وقد لاحقتهم قريش حتى في أرض الحبشة ، هذا بالإضافة إلى توجيه التهم إلى الرسول الأمين التي نسبت على حقد القوم وعداوتهم القاسية ، فقد اتهموه بالجنون والشعوذة ، وال술 ، والكهانة وجميعهم يعلم أن هذه التهم والمفتريات اختلقتها نفوسهم الحاقدة على ما جاء به سيد البشر من هدى ونور للناس كافة ، وقد كان الحق سبحانه وتعالى يتولى الرد على ترهات القوم وتخرصاتهم حول شخص الرسول الكريم ، والآيات القرآنية العربية الحكيمية توضح لنا ذلك :

قال تعالى :

﴿ فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا نفس . إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين . وما صاحبكم بمحنون . ولقد رأه بالأفق المبين . وما هو على الغيب بضئن . وما هو بقول شيطان رجيم . فأين تذهبون . إن هو إلا ذكر للعالمين . ﴾ (٤٥) .

وقال تعالى :

﴿ فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنوون . أم يقولون شاعر نتربيص به ريبة المنون . قل تربصوا فإنني معكم من المتربيصين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون . أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث

مثله إن كانوا صادقين ﴿٤٦﴾ .

وقال تعالى :

﴿ ويقولون أئنا لئاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴿٤٧﴾ .

وقال تعالى :

﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴿٤٨﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أولم يتفكروا ما ب أصحابهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ﴿٤٩﴾ .

وقال تعالى :

﴿ ألم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ﴿٥٠﴾ .

وقال تعالى :

﴿ إن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمتة ربكم بمحنون . وإن لك لأجرًا غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم ﴿٥١﴾ .

هذه نماذج من الآيات التي كانت ترد على مكر القوم وكيدهم لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم لينكروا الحق الذي جاء به من عند الله هداية لهم بلسانهم العربي وعن طريق رجل منهم ينتمي إلى أفضل نسب في قريش ، وهجومهم على شخص الرسول لم يمنعهم من الهجوم على القرآن العربي الحكيم حيث إنهم تواصلوا علي أن لا يسمعوا له وأن يستخدموا القصص والكتابات الأعجمية للتلوين على القرآن العربي - تحت شعار قومية الآباء والأجداد والأصنام التي كانوا يعبدونها -

قال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا

## القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴿٥٢﴾ .

«كلمة كان يوصي بها الكباء من قريش أنفسهم ويغرون بها الجماهير ، وقد عجزوا عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم وفي نفوس الجماهير ، «لا تسمعوا لهذا القرآن» فهو كما كانوا يدعون يسحرهم ، ويغلب عقولهم ، ويفسد حياتهم ، ويفرق بين الوالد وولده ، والزوج وزوجه . ولقد كان القرآن يفرق نعم ولكن بفرقان الله بين الإيمان والكفر ، والهدي والضلال . كما يستخلص القلوب له فلا تحفل بوشيعة غير وشيعته . فكان هو الفرقان . «والغوا فيه لعلكم تغلبون» وهي مهاترة لا تليق . ولكن العجز عن المواجهة بالحججة والمقارعة بالبرهان ، ينتهي إلى مهاترة ، عند من يستكبر على الإيمان . ولقد كانوا يلغون بقصص اسفند يار ورسنم كما فعل مالك بن النضر ليصرف الناس عن القرآن . ويلغون بالصياح والهرج . ويلغون بالسجع والرجز . ولكن هذا كله ذهب ادراج الرياح ، وغلب القرآن لأنه يحمل سر الغلب » (٥٣) .

ومن المذهل حقاً أنهم بعد فشلهم في السيطرة على القرآن وحامل لوائمه صلوات الله عليه عن طريق بث القصص والملامح الأعجمية ، ذهبو إلى اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يتعلم على أيدي أعجمية مع علمهم التام بأنه صلوات الله عليه أمي لا يجيد القراءة والكتابة بالإضافة إلى كون القرآن يتلى عليهم في اللغة العربية . وقد تولى الحق سبحانه وتعالى الرد عليهم حيث يقول في كتابه المكنون :

قال تعالى :

﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعمى وهذا لسان عربي مبين﴾ (٥٤) .

قال تعالى :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَا قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فَصَلَتْ آيَاتُهُ  
أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقُرْآنٌ هُوَ عَلَيْهِمْ عَسْكٌ أُولَئِكَ يَنادِونَ  
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٥٥) .

وعندما فشل أهل مكة في الفوز على الرسول صلى الله عليه وسلم ومنع الناس من السماع للقرآن ، ذهبوا إلى التخطيط لقتله والخلص منه . وقد بين لنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العربي الحكيم موقف قوم الرسول صلى الله عليه وسلم من رسولهم ومن رسالته في الآيات الحكيمية التالية :

قال تعالى :

﴿ كِتَابٌ فَصَلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ .  
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضُ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (٥٦) .

وقال تعالى :

﴿ يَسٌ . وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ . إِنَّكَ لَمَنِ الْمَرْسَلِينَ . عَلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . لَتَنذَرَ قَوْمًا مَا أَنذَرَ  
آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ . لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا  
يُؤْمِنُونَ . إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهُنَّ إِلَى الْأَذْقَانِ  
فَهُمْ مَقْمُحُونٌ . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ  
سَدًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ . وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَعْنَدْرُهُمْ  
أَمْ لَمْ تَنذَرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٧) .

توضح الآيات السابقة أن أكثر قومه لن يؤمن له مهما وضح لهم السبيل وأثار لهم الطريق بكافة الحجج والبراهين التي يأمل أن تقودهم إلى سبيل الحق والرشاد . وهذا ما اطلعنا عليه الحق سبحانه وتعالى بأنهم لن يؤمنوا لعلمه سبحانه وتعالى بحقيقةتهم وطبيعة

مشاعرهم نحو الحق الذي جاءهم به ليقودهم إلى سبيل الفوز والإيمان . كما وضح لنا الحق سبحانه وتعالى أن موقف قوم الرسول صلى الله عليه وسلم سيكون موقف المعاذن والمنازع ، والمكذب ، والمحارب ، كما فعل كافة الأقوام مع رسول الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

﴿ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ﴾ (٥٨) .

وقد مكر القوم لرسولهم الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى لهدايتهم إلى سبيل الخير والإيمان وهموا بقتله . وشاء الحق أن يجعل كيدهم في نحورهم وينجي رسوله الكريم ويسهل هجرته من موطنه مكة إلى المدينة المنورة ليقيم مدینته الفاضلة هو ومن معه من المسلمين العرب منهم وغير العرب يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وقد استحقوا بذلك وصف الباري سبحانه وتعالى لهم عندما وصفهم بخير أمة أخرجت للناس ، فالأمة المشار إليها هنا هذا ليست أمة العرب كما يفهمها بعض البسطاء من الناس، ولكنها تمثل العرب الذين آمنوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين غير العرب الذين آمنوا برسالته صلوات الله وسلامه عليه . أما الجزء الأكبر من قومه العرب فهم الذين همو بقتله وخاضوا ضده أشد الحروب وأشرسها .

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ يُمْكِرُ بَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُخْرِجُوكُمْ وَيُمْكِرُونَ وَيُمْكِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٥٩) .

ومن الجدير ذكره أن كافة الغزوات والحروب التي خاضها المسلمون والرسول بينهم كانت مع العرب لهدايتهم إلى النور المبين

الذي يصرح به رسولهم الكريم سوى غزوة تبوك ، وقد دفعتهم قوميتهم وشعار الآباء والاجداد أن يعقدوا حلفاً مع اليهود في المدينة ضد ابن قريش ، ضد ابنبني هاشم ، ضد الأمين ، في غزوة الأحزاب ليستأصلوا شأفة الإسلام من جذورها . ولكن الحق سبحانه وتعالى نصر رسوله الكريم وهزم جمع الأحزاب شر هزيمة . ويبدو ذلك جلياً واضحاً في الآيات التالية :

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٍ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجَنُودًا لَمْ تَرُوهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلِكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرُ وَتَظَنَّوْنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ . هَنَالِكَ ابْتَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَزَلَّلَوْا زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (٦٠) .

وقال تعالى :

﴿ وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا . وَأَنْزَلَ اللَّهُنَّا ظَاهِرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا قَتَلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا . وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْهُرُهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (٦١) .

وقد انتهت المواجهة بين قريش « قوم الرسول » وبين الرسول وصحابه صلوات الله عليه بفتح مكة، وعندما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم قراره بخصوص أهل مكة بأنهم طلقاء الحرية والاختيار. وقد كتم قسم من هؤلاء الطلقاء وغيرهم من المنافقين العداوة لرسالة الإسلام من جهة والى الرسول وأل بيته من جهة

أخرى . وهذا ما تدل عليه الأحداث المفجعة التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فبدأت الأحداث بحروب الردة ، وأغتيال عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) ، والفتنة التي قتل على إثرها عثمان بن عفان ( رضي الله عنه ) فحرب الجمل ، وحرب الصفين ، وحرب النهروان ، وأغتيال علي بن أبي طالب ( رضي الله عنه ) ومن المؤسف جداً ذكره أن كافة الأحداث السابقة حصلت في الثلاثة العقود الأولى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذه هي فترة الخلافة الراشدة التي تحدث عنها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً » ( ٦٢ ) . وكان معاوية نفسه يفهم هذه الحقيقة أيضاً فقال ذات مرة « أنا أول الملوك » ( ٦٣ ) .

ولكي يكون طرحاً للأحاديث التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم موضوعياً ودقيقاً من جهة وتحرير القارئ العزيز من العواطف والسياسات التوفيقية بين الحق والباطل التي لجأ إليها الكثيرون عبر التاريخ إما جهلاً منهم وإما للافترئات على الحق وأهله ، فلا مندوحة لنا من إلقاء النظرة الفاحصة الدقيقة للوقوف على طبيعة وسمات الناس أو الفئات في المجتمع الذي كان يقوده صلوات الله عليه وسلم لنعرف سوياً أهداف كل فئة من تلك الفئات وأسرارها ومواصفاتها في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أم بعد وفاته .

لقد وصف لنا الباري عز وجل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، كما وصف لنا بقية الأطراف أو الفئات التي كانت تعيش مع هذا الجمع الظاهر حيث كانت الآيات القرآنية الكريمة تصفهم لرسول الله ومن معه من المؤمنين . وسوف نعرض وصف القرآن الكريم لهم على شكل نقاط لنوضح ما هو

مطلوب بطريقة دقيقة ومحضرة .

أولاً : بين لنا الحق سبحانه وتعالى حقيقة أهل مكة بخصوص الإيمان بالله ورسوله عندما أخبر رسوله في آخر العهد المكي بالقرار القطعي الثابت وهو أن أكثرهم لا يؤمنون ويدو ذلك بوضوح في قوله تعالى :

﴿ لَتَنْذِرُ قَوْمًا مَا أَنْذَرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ . لَقَدْ حَقَ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مَقْمُحُونُونَ . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ . وَسَوْءَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تَنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦٤) .

وبعد أن فتحت مكة وأصبح أهلها طلقاء ليختاروا بين الحق والباطل ، فإنه لا يخفى على أحد إلى أين سيتجه أكثر أهل مكة في اختيارهم ولكنهم أسرموا في أنفسهم للوقت المناسب الذي يسمح لهم بإعلانه وهذا ما سنوضحه في الصفحات القادمة من خلال عرضنا لبعض الأحداث المخجلة التي حدثت في المجتمع الإسلامي .

ثانياً : الفئة التي كانت تظهر إيمانها وتخفى حقدها وكرهها للحق وأهله ، فقد كشف الحق سبحانه وتعالى هذه الفئة الباطلة في موقع شتى في كتابه العزيز ولكننا سوف نختار نماذج من هذه الآيات لكثرتها لتوضح حقيقة هذه الفئة . قال تعالى :

﴿ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقْلَبُوا لِكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٦٥) .

و واضح أنهم أهل فتنة وكارهون للحق .

قال تعالى : ﴿ أَنْ تُصْبِكَ حَسَنَةً تَسُؤِهِمْ وَإِنْ تُصْبِكَ مُصِيبَةً يَقُولُوا قَدْ أَخْذَنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلِ وَيَتَوَلَُّوا وَهُمْ فَرَحُونَ ﴾ (٦٦) .

واضح من مضمون الآية انهم لا يحبون الخير للفئة المؤمنة .

قال تعالى :

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ قُلْ أَذْنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولُ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٧) .

واضح أنهم كانوا يقومون بأعمال وأنماط سلوكية كانت تؤذى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعيش بينهم .

قال تعالى :

﴿ قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَتَقْبِلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ . وَمَا مِنْهُمْ أَنْ تَقْبِلَ مِنْهُمْ نِفَاقَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَى وَلَا يَنْفَقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٦٨) .  
انهم يصلون وينفقون من أموالهم في الوقت الذي يكفرون فيه بالله ورسوله .

قال تعالى :

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلْمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدِ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنْالُوا وَمَا نَقْمُدُ إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يُكَفِّرُوا لَهُمْ وَلَمَّا يَتُولُوا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٦٩) .

إنهم أرادوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حيث خرج قسم منهم ليتولوا تنفيذ تلك المهمة وقد حال الحق سبحانه وتعالى بينهم وبين ما كانوا يهدفون إليه .

قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مسجداً ضرراً وَكُفْرًا وَتَفْرِيقاً  
بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَارْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلِ  
وَلِيَحْلِفُنَّ إِنَّ أَرْدَنَا إِلَّا الْحَسْنَى وَاللَّهُ يَشَهِّدُ أَنَّهُمْ لَكاذِبُونَ ﴾ . (٧٠)

قال تعالى :

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ لَنَاكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكُنْهُمْ  
قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ . (٧١)  
إِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ كَذِبًا .

قال تعالى :

﴿ وَإِذَا رأَيْتُمْ تَعْجِيزَ أَجْسَامِهِمْ وَانْيَقُولُوا تَسْمِعُ  
لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مَسْنَدٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِحَّةٍ عَلَيْهِمْ  
هُمُ الْعُدُوُّ فَاحذَرُهُمْ قاتِلُهُمُ اللَّهُ أَنِّي يَؤْفِكُونَ ﴾ . (٧٢)

قال تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَالَّتِي  
الرَّسُولُ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صَدُودًا ﴾ . (٧٣)  
ترى هل هذه الفعة المنافية التي وصفتها الآيات السابقة والتي  
اخترنا نماذج منها قد انتهى أمرها بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم  
أم اشتد شأنها؟ .

ثالثاً : ووضح لنا الحق سبحانه وتعالى نوعين من الناس الذين  
كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، النوع الأول من الناس  
الذين يحبون الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
عند الله سبحانه وتعالى ، والنوع الثاني من الناس الذين يكرهون الحق  
ولا يحبونه .

قال تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُهُ كَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشَهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُ الْخَصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّهُ سعِيَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيَهْلِكَ الْحَرثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ أَنْتَ أَخْذَتَهُ الْعَزَّةَ بِالْإِثْمِ فَحُسْبَهُ جَهَنَّمُ وَبَسَّ الْمَهَادَ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِكُ نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ . ﴾ (٧٤).

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعُلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٧٥).

واضح من الآيات السابقة أنه في الوقت الذي يوجد فيه أناس يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاه الله هناك أناس آخرون يكنون الخصم والعداء في قلوبهم للحق وأهله ، حيث إن الحق سبحانه وتعالى بلغ رسوله الأمين أن يقوم بتبلیغ ما أنزل إليه ولا يخشى هؤلاء الناس كما وعده بأن يعصمه منهم ومن شرورهم ، ترى هل أصبح كافة الناس من جند الحق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أم ماذا حصل؟.

رابعاً: - إن الحق سبحانه وتعالى خاطب المؤمنين الذين تسرب إلى أذهانهم بعض الأمور التي لا تنسجم مع مبادئ الحق السامية في أكثر من موقع في كتابه العزيز موضحا لهم أسس العقيدة الإسلامية وما تعكسه من أمور اعتقادية وسلوكية ليقودهم إلى سبيل الإيمان والفوز المبين .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِثْقَلْتُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ . إِلَّا

تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا  
تضروه شيئاً والله على كل شيء قادر ﴿٧٦﴾.

قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخذلوا آباءكم ولا خوانكم  
أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم  
فأولئك هم الظالمون . قل إن كان آباءكم وأبناءكم  
وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها  
وتحمارة تخشون كсадها ومساكن ترضونها أحب إليكم  
من الله ورسوله وجihad في سبيله فتربيصوا حتى يأتي الله  
بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴿٧٧﴾ .

قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول  
وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون . واعلموا أنها أموالكم  
وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴿٧٨﴾ .

قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه  
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين  
أعزه على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون  
لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴿٧٩﴾ .

هذه نماذج من الآيات القرآنية الحكيمة التي خاطب بها الحق  
سبحانه وتعالى المؤمنين ليعدل من بعض الأنماط السلوكية المخافية للحق  
والإيمان ، ويعدل أيضاً ما تسرب إلى أذهان بعض المؤمنين عن بعض  
القضايا المتصلة بالحق الذي وضمه رسول الله أجمل توضيح ، كما  
حدّر لهم الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز من مغبة الأفتئات على

الدين الإسلامي والتنكر له وان لا ينقلبوا على أعقابهم . ترى هل تمسك المؤمنون بإيمانهم واستقامت عقيدتهم ، ولم يرتد منهم أحد بعد وفاته صلوات الله عليه أم ماذا حصل لهم ؟

خامساً: - ورد في القرآن العربي الحكيم لفظ (عربي) ثلاث مرات وجميعها تدل وتشير إلى أن القرآن الحكيم عربي . وقد ورد لفظ (عربياً) ثمانية مرات وجميعها تشير إلى أن القرآن الحكيم قرآناً عربياً . وقد وردت كلمة (الأعراب) عشر مرات وجميعها تدل على الإنسان العربي . وقد اختلف الباحثون حول هذه الكلمة ومدلولها . بمعنى هل الأعراب تعني العرب الذين لا يسكنون المدن ويعيشون حياة البداوة أم أن الأعراب تعني جمع فئات من العرب . فإذا أردنا أن نجمع بكلمة واحدة عرب الحجاز ، وعرب نجد ، وعرب العراق ، وعرب الشام ، فماذا نقول بالأعراب أما ماذا ؟ فلا بد لنا من أن نعي بدقة الآيات الكريمة التي تحدثت عن هذا المصطلح لنقف على المعنى الدقيق له ، فالأعراب إما أن يكونوا جزءاً من قوم الرسول وهم العرب وإما أن يكونوا جميع العرب كافة وكل المفهومين لن يؤثرا على ما نود الوصول إليه من عرض حالة المجتمع الذي كان يقوده صلوات الله عليه وسلمه .

قال تعالى ﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر إلا  
يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عالم حكيم﴾ . (٨٠)

واضح وجلٍ من الآية الحكيمية السابقة أن الحق سبحانه وتعاليٰ أخبرنا بحكم عام عن الأعراب بأنهم أشد كفراً ونفاقاً وأنهم جديرون أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله بحكم كفرهم ونفاقهم ولكن أراد الله سبحانه وتعاليٰ أن يعلموا ذلك لعلم عنده وحكمة شاء أن تنفذ . وبعد هذا الحكم العام عن الأعراب بدأت

الآيات التالية لتقسم الأعراب إلى فئات ولكل فئة وضعها الخاص بها كما سنرى .

قال تعالى :

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَخَذُ مَا يَنْفَقُ مَغْرِمًا وَيَتَرَبَّصُ  
بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةً السُّوءِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨١)  
هذه الفئة الأولى التي تربص الدوائر بالمؤمنين وتعتبر كل ماتنفقه  
مغرما والفئة الثانية من الأعراب هي التي تؤمن بالله واليوم الآخر  
وينفقون من أموالهم لتربيتهم إلى الله .

قال تعالى :

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَخَذُ  
مَا يَنْفَقُ قَرْبَاتٍ عَنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ  
سِيدُ الْخَلْقِ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٨٢).  
والفئة الثالثة هي الفئة الصادقة المنية والسابقة إلى الإيمان وهي  
تشكل جمع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم  
بإحسان .

قال تعالى :

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولَوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ  
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُ  
وَأَعْدَدْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ  
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٨٣) .

أما الفئة الرابعة فهي الفئة المنافقة حيث يقول الحق سبحانه  
وتعالى :

﴿ وَمِنْ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ  
الْمَدِينَةِ مَرْدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ  
سَنَعذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرْدُونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (٨٤) .

والفئة الخامسة التي خللت أعمالاً صالحة مع أعمال سيئة .

قال تعالى :

﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سينا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ . (٨٥)

أما الفئة الأخيرة فهي الفئة التي أشار إليها الحق سبحانه وتعالى بالآية الكريمة التالية :

قال تعالى :

﴿ وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم ﴾ . (٨٦)

ترى هل هذه الفئات الستة بمواصفاتها المختلفة والمتغيرة ماذا كانت وأهدافها وأدوارها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟  
 يبدو بوضوح وجلاء من خلال ما عرضناه في البند الخامسة السابقة أن المجتمع الإسلامي الذي تركه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته يتكون من عدة شرائح إنسانية ، لكل شريحة منها مآربها وأهدافها واعتقاداتها الخاصة بها . فهناك الطلقاء في مكة الذين منهم أئمة الكفر ، وفيهم قرار قطعي بأن أكثرهم لن يؤمنوا وهذا ما وضحته لنا القرآن الكريم ، وهناك الفئة المؤمنة بمختلف درجات الإيمان عند أفرادها . وبالإضافة إلى طبيعة هذا المجتمع وما يحتوي عليه من فئات متفاوتة في الاعتقاد والأهداف فإن تاريخ الأقوام والبشر يشهد لهم أنهم كان الفساد يدب بينهم بعد رحيل رسول الحق من بينهم ، لذلك نجد البلاغ الواضح الدقيق الذي أرسله لنا الحق سبحانه وتعالى لبني بصورة دقيقة ماذا يكون عقاب من ينقلب على عقيبه بعد رحيل المصطفى صلوات الله عليه من وسط جمعه المؤمن ومدينته الفاضلة .

قال تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ  
أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى  
عَقْبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَاكِرِينَ ﴾ (٨٧).  
كما وضع لنا الباري عزوجل في كتابه الحكيم مصير الذين  
يكتمون البينات التي بينها الحق سبحانه للناس ويحرفون الكلم عن  
مواضعه لتلبية أهوائهم الذاتية على حساب الحق المبين أو نزولاً عند  
رغبة أسيادهم طلباً للدنيا ومفاتنها . ويبدو ذلك بوضوح في قوله عز  
من قائل :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ  
مِنْ بَعْدِ مَا يَبْنَاهُ النَّاسُ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ  
وَيَلْعَنُهُمُ الْلَاعُونُ ﴾ (٨٨).

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ  
وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثُمَّاً قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بَطْوَنِهِمْ إِلَّا  
النَّارُ وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزْكِيُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ  
بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرْهُمْ عَلَى النَّارِ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شَقَاقٍ  
بَعِيدٍ ﴾ (٨٩) .

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما سيحدث بعده  
من اختلاف وتأويل واحتراق وتفكك في جسد أمته من بعده ، فقد  
خاطب أصحابه قائلاً « ستتبعون سنن من كان قبلكم شبراً بشبر  
وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : أترأه  
اليهود والنصارى ؟ قال : فمن إذن ؟ » (٩٠) .

كما قال صلوات الله عليه وسلم « ستفترق أمتي إلى ثلات وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة » (٩١) .

أضف إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم مخبراً ماذا سيفعل أصحابه من بعده حيث قال : « يؤتى بأصحابي يوم القيمة إلى ذات الشمال فأقول : إلى أين ؟ فيقال إلى النار والله فأقول : يا رب هؤلاء أصحابي فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا من بعدك ، فأقول : سحقاً لمن بدل بعدي » (٩٢) .

وفي ضوء ما تقدم من آيات قرآنية حكيمه وسنة نبوية طاهرة فإن المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يكون أفضل حالاً مما كان عليه الرسول بين ظهرانيهم ، لأن وفاته تعني بالنسبة للفئات الحاقدة على الحق وأهله أن الحاجز الأكبر الذي كان يحول بينها وبين تحقيق أهدافها المناهضة للإسلام قد تداعى ، ذلك لأن الوحي الذي كان يكشف لرسول الله مكائدتهم وأحابيلهم قد انقطع بوفاته صلوات الله عليه وسلم لذلك وجدت كل فئة مناهضة للحق واتباعه فرصتها الذهبية في تحقيق أهدافها عن طريق اختيار كافة السبيل والطريق الموصولة إلى أهدافها الخبيثة بغض النظر عن طهر الوسيلة ، أو خبثها طالما قد توصل إلى ما ترموا له النفوس التي تترbccs الدوائر بالإسلام وأهله . فسواء كانت الوسيلة التأويل للنصوص القرآنية أم سياسة الدس والوضع في السنة النبوية فالأهم من هذا وذاك الوصول إلى النيل من الإسلام وأهله . لذلك ليس غريباً أن تكون حروب الرادة وما دار حولها ، واغتيال عمر بن الخطاب رضي الله عنه والفتن التي حصلت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وأدت بالnationality إلى اغتياله . والحروب الثلاث الضروس التي حصلت في عهد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . إن كافة هذه الأمور ليست غريبة على الإنسان لأن سنة

الأقوام مع رسلهم تدل على نفس الأفعال والأمور التي حدثت بعد انتقال رسول الحق من بينهم ، وهناك العشرات من الآيات القرآنية الحكيمية التي تشير إلى تلك الأعمال والأفعال ، هذا بجانب ما ذكرنا من آيات قرآنية وسنة نبوية ظاهرة تدل على ماذا سيحدث بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه . ولكن الشيء الذي تشيب له النواصي ويندی له جبين البشرية أسفًا وندمًا أن يتم رفع مستوى الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مستوى أرفع وأعلى من كتاب الله الحكيم الذي ينطق بالحق ، حيث أشير إلى كافة أعمالهم المناهضة للحق على أنها تأويل للنصوص القرآنية حتى بلغ الأمر إلى الإشارة للمعارك الضروس ، وجز الرؤوس ، وسمل العيون واستباحة حرمات آل بيت الرسول ، وانتهاك حرمة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصيف الكعبة وانتهاك حرمتها على أنها جميعاً تدخل تحت التأويل والاجتهاد . وقد أبيحـت كافة المحرمات تحت هذا الشعار بالإضافة إلى سياسته الدس والوضع في السنة النبوية .

وجميعنا يعلم علم اليقين أن هذه الربطة ، أي المنزلة فوق الكتاب المنير لم تعط حتى للرسول صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك يكمن في الآيات التالية :

قال تعالى :

﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ﴾ (٩٣) .

قال تعالى :

﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأنحدنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه اليمين . فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ (٩٤) .

إن هذه الحروب الثلاث التي حصلت في فترة الخلافة الرابعة

كانت السبب المباشر وراء حدوث الانقسامات الفكرية والمذهبية بين المسلمين ومنذ تلك اللحظات حتى هذه الأيام ، والذي يود أن يجتلي حقيقة تلك المدارس والمذاهب لا بد له من الوقوف على حقيقة تلك الحروب وأي الأطراف منها على حق وأي منها على باطل والقرآن الحكيم فيه قول الفصل في ذلك ، كيف لا وهو يمثل الحق الذي شاءت حكمته أن يكون للناس جمیعاً وکاملاً غير منقوص . كما أن الحق سبحانه وتعالى لا يستحي من الحق سواء أكان الذي أخطأ إنساناً عادياً أم رسولاً مقرباً . فإذا كان القرآن الحكيم لا يوجد فيه ما يبين لنا إذا ما أردانا الحق دون تحكيم الهوى والمزاج في تلك الحروب وغيرها ، فain المصدر الذي يمكن أن تأوي إليه ؟ قول الطلقاء وأکاذيبهم ؟ أم الذين يتربصون الدوائر ؟ أم الذين مردوا على النفاق ؟ أم الذين هم أشد كفراً ونفاقاً ؟ أم الذين ارتضوا بالحياة الدنيا وما فيها من أموال ومالهم في الآخرة من خلاق ؟ أم حكام الهوى والمزاج وما يدور في فلکهم من فقهاء سلاطين ؟ إن التعرف على الحق وأهله يوضح لنا مجال الاختيار الحقيقي للجانب الجاثم على الحق في هذه الأيام ، ونحرر أنفسنا من أحابيل أعداء الحق عندما يثرون التعرات الطائفية والمذهبية بين الفرق الإسلامية بهدف إضعافها جمیعاً . كما يساعدنا على إخراج أنفسنا من المهاشرات الهاشطة في توجيه الكفر والزندة لبعضنا بعضاً ، إن الذي يريد الحق يوضّحه أولاً لنفسه ويسيّر في ضوئه ، ومن ثم يوضّحه للناس دون أن يشتم أحداً من الناس الذين يود أن يبين الحق لهم . إن سنة الشتم واللعن بدأها أقوام الرسل الذين مكرروا لرسل الله لضعف حججهم ومجافاتهم للحق وأتباعه . إن صاحب الحق دائماً وأبداً هدفه الأسمى توضیح الحق للذین يعرفونه والذین لا يعرفونه سواء ، لأن هذه هي مهمته ولا يجوز له أن يخرج عن محاور المناقشة الأساسية التي تخاطب العقل

الإنساني من خلالها للوصول إلى جانب الخير فيه إلى إلقاء التهم والمهاترات الفارغة . وهناك من الناس من يقول إن هذه الأحداث والفتن قدمت وعفانا الله شرها فلماذا نود أن نخوض فيها ؟ وللإجابة على هذا القول فإننا نقول إن الذي يرفع هذا الشعار لا يتتجاوز نوعين من البشر ، فالنوع الأول يخشى في حالة البحث الدقيق والوصول إلى الحق من كشف سوائهم وبطidan تجارتهم التي يتقربون من خلالها إلى أصحاب النفوذ فلذلك نجدهم يرفعون هذا الشعار عبر التاريخ وما زالوا يرفعونه وسيمضون على ذلك لأن رأساً لهم هو السيطرة على عقول عامة الناس والتجارة بذلك للوصول إلى أهدافهم الذاتية على حساب الإسلام ومعالمه . وهذا ما وشجت عليه عروق الأولين من فقهاء السلاطين وتازرت عليه فروعهم في كل عصر ، أما النوع الثاني فيمثل الفئة الصادقة التي تشرئب نفوسها لرؤيه المسلمين تحت راية واحدة ، فلذلك أنها لا تريد أن تبحث في أي قضية يمكن أن تثير أي نوع من الخلاف بين المسلمين وللحقيقة أن هذه الفئة الصادقة هي الهدف الأسنى لكل داعية حيث يريد تحريرها من مخالب فقهاء السلاطين والوصول بهم إلى مورد الحق ليسروا على صراطهم المستقيم الذين أمروا باتباعه فكيف يمكن لأي إنسان مخلص أن يحرر تلك الفئة الصادقة من تأويلات فقهاء السلاطين الجائرة وفتواهم الكاذبة إذا لم يقدمهم إلى الحق والسبيل المؤدية إليه إن هذه الفئة الصادقة إذا لم تعرفحقيقة ما جرى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فلن تستطيع أن تميز بين الحق والباطل وستبقى العوبية سهلة في أيدي تجار الدين ومن نهج نهجهم وليس حرب الخليج سواء الأولى أم الثانية عنا بعيد ، وكيف كان استغلال تجار الدين لهما ، ولأهمية هذا الموضوع من جهة وكبر حجمه من ناحية أخرى ، وخوفاً من الخروج عن وحدة الموضوع لما

نحن فيه ، فإننا لا نستطيع أن نبحث تلك الأمور في هذا المقام لذلك يجبر الرجوع إلى الكتب الصادقة الدقيقة التي بحثت هذا الموضوع في طياتها . أما نحن فهدفنا توضيح علاقة القومية بالإسلام . ولقد أشرنا إلى هذه القضايا بصورة مقتضية هنا لنبين كيف تحول المجتمع الإسلامي إلى مجتمع أقليمي عنصري شعوبي ، قومي ، ولقد رافق هذا التحول تأويل القرآن بما يتناسب مع السياسة الحاكمة والتقليل من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم والنيل من أهله بيته الأطهار والإفتئات على حقوق المسلمين .

لقد أدت التأويلاًات الجائرة للنصوص القرآنية والدس في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إبعاد المجتمع الإسلامي عن المبادئ الإسلامية السامية ، حتى وصل الأمر إلى استباحة دماء آل الرسول صلى الله عليه وسلم في فاجعة كربلاء سنة ٦١ هـ ، وما رافق تلك الكارثة من انعكاسات حادة في أذهان الناس حول الوضع السائد في ذلك الوقت . وفي سنة ٦٣ هـ استبيحت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لجيش الشام الذي بعثه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٩٥) وبعد تلك الأحداث المفجعة التي حدثت في كربلاء وموقعة الحرة ثم استباحة حرمة البيت الحرام مرتين ، الأولى سنة ٦٤ هـ بقيادة الحسين بن نمير السكوني ، والثانية سنة ٧٢ هـ بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وفي كلتا المرتين تم محاصرة الكعبة وقصفها بالحجارة والنار – وقد احترقت الكعبة في المرة الثانية وتصدع منها ثلاثة مواضع واحتراق ما كان عليها من كسوة وما فيها من خشب (٩٦) .

وهكذا بدأت المخالفات الصريرة للإسلام ومبادئه تظهر جلياً على السطح وفي كل مرة يطالب فيها المخلصون لدينهم بتطبيق مبادئ الإسلام يجدون جيش الحاكم جاهزاً لقمعهم واستباحة حرمانهم كما

حدث في موقعة كربلاء ، و موقعة الحرة ، و حصار مكة و غيرها من الثورات المتتالية التي كانت تقام بطريقة لا إنسانية .

وهناك بعض الحالات التي كانت لها آثار سلبية في أوسع المجتمع و منها تثبيت دعائم العنصرية والعرقية بين العرب من جهة وبين الأقوام الآخرين الذين آمنوا بالإسلام من جهة أخرى عن طريق فرض دفع الجزية على المسلمين الجدد من غير العرب و حرمانهم من المساواة في الحقوق سواء أكان في الجوانب المالية أم القضائية أم العبادية (٩٧) .

وهناك نيران العصبيات المشتعلة بين اليمانية والمصرية وقد أشار إلى ذلك ابن كثير في البداية والنهاية نقلًا عن ابن عساكر إن نيران النزعات القبلية كانت تستعر في قلب العاصمة الأموية فكانت ترى في كل مسجد محاربين وكان في المسجد الجامع منبران يرتقيهما إمامان كل منهما يناصر شيعته لأن كلا الفريقين لم يكن على استعداد للصلوة خلف إمام ليس من رهطه (٩٨) .

والشيء المذهل الذي تشيب له الولدان أن جميع الحالات الصريرة لمبادئ القرآن والسنة النبوية الطاهرة كانت وما زالت تحدث وابل من الفتاوى الجائرة التي يحررها فقهاء المسلمين تقريرًا لأسيادهم وإشباعاً لشهواتهم وغراائزهم على حساب الإسلام ومبادئه النبيلة .

وما زلنا نشاهد في هذه الأيام المجتمعات التي تعلن عن نفسها أمام المجتمع الدولي على أساس أنها إسلامية وفي حقيقتها أنها لا تطبق المبادئ الأساسية للإسلام بصورةها الصحيحة . وهذه الحقيقة ليست بحاجة إلى فراسة شخصية أو سطوة علمية للوقوف على حقيقتها فأي إنسان يقرأ القرآن ويرى ويحس ويسمع ما يحدث في هذه المجتمعات يجد التناقض الحاد بين الإسلام ومبادئه من جهة وبين الواقع الهابط لتلك المجتمعات وأنماطها السلوكية من جهة أخرى . واختصاراً لفتاوي أصحاب الهوى الذين ما زالوا يتاجرون بالدين ومبادئه في

شتى أمور الحياة فإننا نوضع للقارئ العزيز قول الحق سبحانه وتعالى على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم عندما يشهد على قومه وهم العرب يوم المثول أمام الحق سبحانه وتعالى أنهم اتخذوا القرآن مهجورا.

قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاوَاتُ بِالْغَمَامِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا . الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا . وَيَوْمَ يَعْصُمُ الظَّالِمُونَ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَتَخْذِلُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَخْذِلْ فَلَانَا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلنَّاسِ خَنْدُولًا . وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَتَخْذِلُهُمْ هَذَا الْقُرْآنُ مَهْجُورًا ﴾ (٩٩).

إن قول الحق هذا يبين لنا بوضوح وجلاء أن العرب قوم الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذوا القرآن الكريم مهجوراً وسوف يشهد عليهم يوم المثول أمام الحق سبحانه وتعالى . ولن تنفع في ذلك اليوم كافة التأويلات الجائرة والفتاوي الهاابطة التي تم نسجها من مخيلاتهم تزلفا للسلطة وموائدهم على حساب الهدى الإلهي ومبادئه .

لقد أدت هذه الخالفات الصريحة للإسلام ومبادئه عبر القرون السابقة إلى ظهور أوضاع شاذة في المجتمعات الإسلامية نستطيع أن نوجزها بالنقاط التالية :

- ١ - تمزق وتفكك القيادة الإسلامية الواحدة إلى عدة قيادات متفاوتة في الأهداف والسلوك .
- ٢ - الابتعاد عن مرجعية القضاء المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية إلى مرجعية القيادة ورأيها الشخصي .

٣- ممارسة أوجه الظلم والدكتatorية بأبشع أنماطها التي عرفت لدى البشر .

٤- ممارسة النعرات القومية والتزاعات الإقليمية بين الأقوام التي دخلت في الإسلام وتر بص الدوائر بعضهم بعضا .

٥- ظهور العداوة وعدم الثقة بين الشعب وبين الجيش لأنه يدين بالولاء للسياسة الحاكمة وليس لمبادئ الإسلام وأهله . لذلك فالجيش على أتم الاستعداد لتدمير المدن أسوة بالجيوش التي داست المقدسات الإسلامية واستباحت حرمتها و هتك أعراض المسلمين بطريقة همجية .

٦- استبدال النظم القانونية والقضائية والاجتماعية والسياسية بأنظمة وعادات تخالف الإسلام ومبادئه مخالفة جوهرية .

٧- إيقاع الأذى بكل أساليبه وطرقه على الذي ينادي بصوت صادق لتطبيق الإسلام ومبادئه في المجتمعات الإسلامية .

٨- ظهور المذاهب المتعددة والجماعات الإسلامية المتأخرة التي تكيل التهم والترهات لبعضها بعضا واستغلال ذلك من قبل الأعداء سواء من الداخل أم من الخارج .

٩- ظهور فئة فقهاء السلاطين التي اتخذت على عاتقها تغطية كافة المخالفات الصريحة للإسلام ومبادئه بفتاوی جائرة على الإسلام وأهله .

لقد تكشفت سوءات هذه المجتمعات بصورة دقيقة عندما تسارع التقدم الحضاري والتفجر التكنولوجي في المجتمعات الغربية حديثاً وما قبله من تخلف وانحطاط في المجتمعات الإسلامية . فذهب قسم كبير من الكتاب والمؤلفين الذين لم يصلوا بعد إلى حقيقة التطور الحضاري وأسراره ولا إلى حقيقة الإسلام ومبادئه إلى إعلان الثورة على الإسلام وأهله لكي يتسعى لهم التقدم في موكب الحضارة

العالمية الحديثة ظناً منهم أن الإسلام هو الذي يقف حاجزاً أمام تقدمهم العلمي والحضاري . وقسم آخر ذهب إلى الحديث والمطالبة بتطوير الإسلام وتحديثه لكي ينسجم مع المتطلبات العصرية الحديثة لفهمهم السقيم للإسلام ومصدره .

وفي ضوء هذين المطلبين تم تخطيط وتوجيه الحركة الفكرية وما يلزماها من متطلبات في المجتمعات الإسلامية في هذا القرن . فإذا ما أراد الإنسان المخلص لدینه أولاً والغير على مصلحة مجتمعه ثانياً أن يوضح أسباب التخلف والفساد التي تعيشها المجتمعات يجد نفسه أمام عدو أشر يملك كافة الوسائل والطرق للنيل من هذا الفرد للحيلولة بينه وبين ما يود توضيحه إلى أبناء مجتمعه .

ومن القضايا التي تبعث الأسى والذهول أن تهب في هذه الأيام بعض الآراء التي تندى إلى الالقاء بين الاتجاهين ، الاتجاه الديني والاتجاه القومي على كافة المستويات والوسائل الصحفية ليزيد من أوضاعنا الاجتماعية غموضاً وتناقضاً . إننا في الوقت الذي نعرف فيه حقيقة الهدى الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى هدى ورحمة للعالمين وهو الإسلام فإننا ما زلنا نحن وأقطاب القومية العربية سواء لا نعرف بالتحديد ما هو الفكر الایدولوجي للقومية الذي سيتم وضعه بجانب الإسلام للالقاء عليها سوياً . إن قريش عندما كانت تطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الالقاء والاتفاق كانوا يدافعون عن دين الوثنية الذي سلب عقولهم عن الحق المبين الذي جاء به رسولهم الأمين ، هذا بجانب كونهم غير مسلمين لذلك وضعوا أنفسهم في الجانب المقابل للإسلام ، فالمطلوب من أصحاب الاتجاه القومي أولاً أن يعلنوا بصراحة هل هم من المسلمين أم لا ؟ هذا بالإضافة إلى توضيع مدرستهم الفكرية المتفقة كاملاً مع شعارهم القومي .

إن أصحاب التيار القومي لو أرادوا حقاً أن ينسجم فكرهم

الأيدولوجي مع شعراً هم المرفوع لكانوا أشد الناس تمسكاً بالكتاب العربي الحكيم الذي لا يضاهيه كتاب آخر عبر تاريخ البشرية باعتراف الناس جمِيعاً، هذا بجانب التمسك والامتثال بكلّ ما نادى به النبي العربي الحكيم . هل يعني الشعار القومي العربي أن نتخلّى عن بعض ما في القرآن العربي الحكيم وسنة الرسول العربي الأمين صلَّى الله عليه وآلُه وسلَّمَ لندخل مكانتها مقتطفات من الأفكار والمبادئ الإلَاطونية ، والارسطية ، والديوية ، والماركسيَّة ، واللينينيَّة ؟ إنَّ هذا الشعار يعني لكل إنسان يدرك معاني الألفاظ والكلمات بطريقة سليمة التمسك القوي بكل ما هو عربي ، إنَّ العلاقة الوحيدة التي تجتمع بين الإنسان العربي أو غيره من الأقوام الأخرى مع الإسلام هي أن يكون الفرد أو الإنسان مسلماً في الاعتقاد والفكُر والسلوك وكل ما يملئه عليه النهج المنير في شتى أمور الحياة بغض النظر عن جذوره العرقية ، فعندَها يسمى الإنسان مسلماً عربياً أو مسلماً كردياً أو مسلماً فارسياً أو مسلماً تركياً ، فهذه هي العلاقة الوحيدة التي يسمح بها الإسلام ، فالإنسان القومي الذي يطالب بتطبيق أي فكر بدل الإسلام يسلخ نفسه عن الإسلام ومبادئه بصورة صارخة.

وخلالَة القول في هذا الموضوع إنَّ الإسلام يمثل الهدى الذي بعثه ووعدت به ذريَّة آدم ، وهتف به سائر الأنبياء والمرسلون ليكون مصدراً للاعتقاد والتشريع وسن القوانين وكل ما يلزم الإنسان من سبل هداية ليقوده إلى نعيم الدنيا والآخرة . أما القومية فهي نظرة عنصرية ضيقة أسست على الكبر والاستعلاء على الآخرين من الناس وكانت وراء هلاك إبليس عندما رفض أوامر السجود لآدم بحجَّة أنه خلق من مادة أفضَّل من الذي خلق منها آدم عليه السلام . لذلك فمن الحال أن تلتقي القومية بأساليبها ومرتكزاتها التي بنيت على خيوط واهية أضعف من خيوط العنكبوت مع دين التوحيد ، دين الهدى

والرحمة الذي أراده الحق أن يكون لكافة البشر حيث لا توجد أية فروق بينهم إلا بتقوى الله ومحافظته ، والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه .

«إن المفاصلة ضرورية لإيضاح معالم الاختلاف الجوهرى الكامل ، الذى يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق ، الاختلاف في جوهر الاعتقاد ، وأصل التصور ، وحقيقة المنهج ، وطبيعة الطريق ، إن التوحيد منهجه والشرك منهجه آخر ولا يلتقيان ، التوحيد منهجه يتوجه بالإنسان مع الوجود كله – إلى الله وحده لا شريك له – ويحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان ، عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، وآدابه وأخلاقه، وتصوراته كلها عن الحياة وعن الوجود، هذه الجهة التي يتلقى المؤمن عنها هي الله ، الله وحده بلا شريك ، ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأساس ، غير متلبسة بالشرك في أية صورة من صوره الظاهرة والخفية ... وهذه المفاصلة بهذا الوضوح ضرورية للداعية وضرورية للمدعون ، إن تصورات الجاهلية تتلبس بتصورات الإيمان ، وبخاصة في الجماعات التي عرفت العقيدة من قبل ثم انحرفت عنها ، وهذه الجماعات هي أعنصى الجماعات على الإيمان في صورته المجردة من الغبيش والالتواء والانحراف ، أعنصى من الجماعات التي لا تعرف العقيدة أصلا ، ذلك أنها تظن نفسها الهدى في الوقت الذي تتعدد انحرافاتها وتتلوي واحتلاط عقائدها وأعمالها وخلط الصالح بالفاسد فيها ، قد يغري الداعية نفسه بالأمل في اجتنابها إذا أقر الجانب الصالح وحاول تعديل الجانب الفاسد ... وهذا الاغراء في منتهى الخطورة ، إن الجاهلية جاهلية ، والإسلام إسلام ، والفارق بينهما بعيد ، والسبيل هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته ، هو الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه .

وأول خطوة في الطريق تميز الداعية وشعوره بالانعزال التام عن الجاهلية : تصوراً ومنهجاً وعملاً، الانعزال الذي لا يسمح بالالتقاء في منتصف الطريق ، والانفصال الذي يستحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل الجاهلية من جاهليتهم بكليتهم إلى الإسلام . لا ترقيع ولا انصاف حلول، ولا إلتقاء في منتصف الطريق مهما تزرت الجاهلية بزى الإسلام، أو ادعت هذا العنوان ، وتميز هذه الصورة في شعور الداعية هو حجر الأساس ، شعوره بأنه شيء آخر غير هؤلاء ، لهم دينهم وله دينه ، لهم طريقهم وله طريقه ، لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم ، ووظيفته أن يسيرهم في طريقه هو ، بلا مداهنة ولا نزول عن قليل من دينه أو كثير .

وإلا فهي البراءة الكاملة ، والمقاصلة التامة ، والجسم الصريح.... ﴿ لكم دينكم ولـي دين ﴾ وما أحوج الداعين إلى الإسلام اليوم إلى هذه البراءة وهذه المفاصلة وهذا الجسم .... ما أحوجهم إلى الشعور بأنهم ينشئون الإسلام من جديد في بيئـة جاهلية منحرفة ، وفي أناس سبق لهم أن عرفوا العقيدة ، ثم طال عليهم الأمد ﴿ فـقـسـتـ قـلـوبـهـمـ وـكـثـيرـ مـنـهـمـ فـاسـقـونـ ﴾ « وإنـهـ لـيـسـ هـنـاكـ أـنـصـافـ حـلـولـ ، وـلـاـ الـالـتـقاءـ فيـ مـنـصـفـ الـطـرـيقـ ، وـلـاـ إـصـلـاحـ عـيـوبـ ، وـلـاـ تـرـقـيـعـ مـناـهـجـ ، إـنـماـ هـيـ الدـعـوـةـ إـلـىـ إـلـاسـلـامـ كـالـدـعـوـةـ إـلـيـهـ أـوـ مـاـكـانـ » (١٠٠).

وأخيراً المجتمع القومي أو العربي قد يكون إسلامياً، وشيعياً، وأسمارياً وإقطاعياً، ودكتاتورياً ، وهذا يعود إلى نوع المدرسة الفكرية المتبعة في ذلك المجتمع ، أما المجتمع المسلم ، فهو فقط إسلامي لأنـهـ يـتـبعـ النـهـجـ الإـلـهـيـ فيـ شـتـىـ مـنـاحـيـ الـحـيـاةـ ، وـعـلـىـ هـذـاـ الأـسـاسـ وـصـفـ بـأـنـهـ مجـتمـعـ إـسـلـامـيـ ، هـذـاـ بـجـانـبـ أـنـ الـجـتمـعـ القـومـيـ يـعـدـ مـحـصـورـاـ فـقـطـ لـلـإـنـسـانـ الـذـيـ يـنـحدـرـ مـنـ أـصـلـ قـومـيـ وـاحـدـ دونـ

الأفراد الذين ينحدرون من عرق إنساني آخر بينما المجتمع المسلم فهو لكل إنسان يود أن ينـيـب أو يستـقـيم على نـهـج الله القـوـيم دون الـلـفـات إلى عـرـقـه أو لـونـه أو جـنـسـه.

### الهوامش

- ١) ساطع الحصري ، اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية ، ص ٢٢٩ .
- ٢) ساطع الحصري ، ما هي القومية ، دار الملائين ، بيروت ، ١٩٥٩ م ، ص: ١٩٨ .
- ٣) المصدر السابق ص ٢٠٠ .
- ٤) المصدر السابق ص ٢٤٩ .
- ٥) ساطع الحصري ، اللغة والأدب وعلاقتهما بال القوميـة ، ص: ٢٥٠ .
- ٦) الياس مرقص ، القومية العربية والإسلام ص : ١٤١ .
- ٧) عبد الله سلوم السامرائي ، الإسلام والقومية الإسلام والأمية ، بغداد ، ص ١٩٨٥ م ١٩٨٥ ص ١٦٩-١٧٣ .
- ٨) ساطع الحصري ، ما هيـةـ الـقـومـيـةـ ، ص : ٢٠٤ .
- ٩) أبو الأعلى المودودي ، الأمة الإسلامية وقضيةـ الـقـومـيـةـ ، دار الـاـنـصـارـ ، الـقـاهـرـةـ :
- ١٠) سورة الأعراف آية : ٣٥-٣٦ .
- ١١) سورة النساء آية : ١٦٥ .
- ١٢) سورة إبراهيم آية : ٤ .
- ١٣) محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، المجلد العاشر ، ص: ٢٤٨ .
- ١٤) سورة نوح آية : ١ .
- ١٥) سورة نوح آية : ٤-٢ .
- ١٦) سورة الأعراف آية : ٥٩ .
- ١٧) سورة هود آية : ٢٥٠٢٦ .
- ١٨) سورة الأعراف آية : ٦٠ .
- ١٩) سورة هود آية : ٢٧ .
- ٢٠) سورة الشعراء آية : ١١٦ .

- .٣٢) سورة هود آية : .١١١  
 .٢٢) سورة الشعراء آية : .٢٣-٢٢  
 .٢٣) سورة نوح آية : .٢٤-٢٢  
 .٢٤) سورة الزخرف آية : .٦٨-٦٥  
 .٢٥) سورة الأعراف آية : .٥٤-٥٠  
 .٢٦) سورة هود آية : .٧٠  
 .٢٧) سورة الأعراف آية : .٦١  
 .٢٨) سورة هود آية : .٧٩-٧٣  
 .٢٩) سورة الأعراف آية : .٦٢  
 .٣٠) سورة هود آية : .٧٤-٦٩  
 .٣١) سورة العنكبوت آية : .١٨-١٦  
 .٣٢) سورة الأنبياء آية : .٥٤-٥١  
 .٣٣) سورة العنكبوت آية : .٢٤  
 .٣٤) سورة إبراهيم آية : .١٠-٩  
 .٣٥) سورة الأنعام آية : .١١-١٠  
 .٣٦) سورة الذاريات آية : .٥٤-٥٢  
 .٣٧) سورة الأعراف آية : .١٥٨  
 .٣٨) سورة الشورى آية : .٣٩٩١-٣٩٩٠  
 .٣٩) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الجزء السادس صفحة : .٤١  
 .٤٠) سورة الشعراء آية : .١٩٥-١٩٣  
 .٤١) سورة الشورى آية : .٧  
 .٤٢) سورة الزمر آية : .٢٨-٢٧  
 .٤٣) سورة الزخرف آية : .٣  
 .٤٤) محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، المجلد العشرين ، ص : ٣٧٥  
 .٤٥) سورة التكوير آية : .٢٧-١٥  
 .٤٦) سورة الطور آية : .٣٤-٢٩

- .٤٧) سورة الصافات آية : ٣٦-٣٧ .
- .٤٨) سورة يس آية : ٦٩ .
- .٤٩) سورة الأعراف آية : ١٨٤ .
- .٥٠) سورة المؤمنون آية : ٧٠ .
- .٥١) سورة القلم آية : ٤-١ .
- .٥٢) سورة فصلت آية : ٢٦ .
- .٥٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد الخامس ، ص : ٣١٢٠ .
- .٥٤) سورة النحل آية : ١٠٣ .
- .٥٥) سورة فصلت آية : ٤٤ .
- .٥٦) سورة فصلت آية : ٤٣ .
- .٥٧) سورة يس آية : ١-١٠ .
- .٥٨) سورة فصلت آية : ٤٣ .
- .٥٩) سورة الأنفال آية : ٣٠ .
- .٦٠) سورة الأحزاب آية : ٩-١١ .
- .٦١) سورة الأحزاب آية : ٢٥-٢٧ .
- .٦٢) البداية والنهاية : ٨/١٦ .
- .٦٣) الاستيعاب : ١/٢٥٤ ، البداية والنهاية : ٨/١٣٥ .
- .٦٤) سورة يس آية : ٦-١٠ .
- .٦٥) سورة التوبة آية : ٤٨ .
- .٦٦) سورة التوبه آية : ٥٠ .
- .٦٧) سورة التوبه آية : ٦١ .
- .٦٨) سورة التوبه آية : ٥٣-٥٤ .
- .٦٩) سورة التوبه آية : ٧٤ .
- .٧٠) سورة التوبه آية : ١٠٧ .
- .٧١) سورة التوبه آية : ٥٦ .
- .٧٢) سورة المنافقون آية : ٤ .

- . ٧٣) سورة النساء آية : ٦١ .
- . ٧٤) سورة البقرة آية : ٢٠٤-٢٠٧ .
- . ٧٥) سورة المائدة آية : ٦٧ .
- . ٧٦) سورة التوبة آية : ٣٨-٣٩ .
- . ٧٧) سورة التوبة آية : ٢٣-٢٤ .
- . ٧٨) سورة الأنفال آية : ٢٧-٢٨ .
- . ٧٩) سورة المائدة آية : ٥٣ .
- . ٨٠) سورة التوبة آية : ٩٧ .
- . ٨١) سورة التوبة آية : ٩٨ .
- . ٨٢) سورة التوبة آية : ٩٩ .
- . ٨٣) سورة التوبة آية : ١٠٠ .
- . ٨٤) سورة التوبة آية : ١٠١ .
- . ٨٥) سورة التوبة آية : ١٠٢ .
- . ٨٦) سورة التوبة آية : ١٠٦ .
- . ٨٧) سورة آل عمران آية : ١٤٤ .
- . ٨٨) سورة البقرة آية : ١٥٩ .
- . ٨٩) سورة البقرة آية : ١٧٤-١٧٦ .
- . ٩٠) البخاري : ١٤٤/٤ ، و ١٥١/٨ .
- . ٩١) مسند أحمد : ١٢٠/٣ ، سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، الجزء الثاني ، رقم الحديث ٣٩٩٣ .
- . ٩٢) البخاري : ٧/٢٠٩ ، صحيح مسلم باب الحوض .
- . ٩٣) سورة التحرير آية : ١ .
- . ٩٤) سورة الحاقة آية : ٤٤-٤٧ .
- . ٩٥) انظر ، التفاصيل في تاريخ الطبرى : ٥/٤٨٠-٤٩١ .
- . ٩٦) انظر ، تفاصيل القصة في تاريخ الخلفاء : ص ٩٠ .
- . ٩٧) انظر ، التفاصيل في تاريخ الطبرى : ٥/٣٢١ ، ابن الأثير : ٤/١٦٣ ، العقد الفريد :

٢٣٣/٢ ، ابن خلkan ، وفيات الأعيان : ١١٥/٢ ، ابن قتيبة ، عيون الأخبار :

.٦١/٢

٩٨) انظر ، التفاصيل في البداية والنهاية : ٤٥/١٠ .

٩٩) سورة الفرقان آية : ٢٥-٣٠ .

١٠٠) في ظلال القرآن : ٣٩٩٢/٦-٣٩٩٣ .

## المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- إبراهيم دسوقي ، تاريخ الفكر السياسي.
- ٣- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، الميزية مصر ، ١٣٥٦هـ .
- ٤- ابن خلkan ، وفيات الأعيان ، النهضة المصرية ، مصر ، ١٩٤٨ .
- ٥- ابن سعد، الطبقات الكبرى ، دار صادر، بيروت ، ١٩٥٧ .
- ٦- ابن عبد البر، الإستيعاب ، دائرة المعارف ، حيدرآباد ، الهند ، ١٣٣٦هـ .
- ٧- ابن عبد ربه، العقد الفريد ، مصر ١٩٤٠ .
- ٨- ابن كثير، البداية والنهاية ، دار السعادة ، جمهورية مصر العربية.
- ٩- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- ١٠- أبوالأعلى المودودي ، الأمة الإسلامية وقضية القومية ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٩٨١ .
- ١١- أبوالأعلى المودودي ، الخلافة والملك ، تعريب أحمد إدريس ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٧٨ .
- ١٢- أبوالأعلى المودودي ، نظرية الإسلام والسياسة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٥ .
- ١٣- أبوالفتوح رضوان ، القومية العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ١٤- السيد محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، دار الكتاب الإسلامي ، قم إيران ١٩٧٢ .
- ١٥- السيد محمد حسين الطباطبائي ، نظرية السياسة والحكم في الإسلام ، الدار

- الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٢ .
- ٦- الياس مرقص ، القومية العربية والإسلام .
- ٧- البيهقي ، السنن الكبرى ، دائرة المعارف . حيدرآباد ، الهند ، ١٣٥٥ هـ .
- ٨- الترمذى ، كتاب الفتن .
- ٩- الزمخشري ، الكشاف ، البهية ، مصر ١٣٤٣ هـ .
- ١٠- السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، دار الحكومية لاهور ، باكستان . ١٣٧٠ هـ .
- ١١- الطبرى ، تاريخ الأُمّة والملوک ، دار الإستقامة ، مصر ، ١٩٣٩ م .
- ١٢- بويد شيفر ، القومية عرض وتحليل ، ترجمة جعفر خصباك وعدنان الحميدي ، دار مكتبة الحياة بيروت ، ١٩٦٦ . مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بغداد ، نيويورك .
- ١٣- حسن شحاته سعفان ، الأدب اليونانى القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى .
- ١٤- حسين السيد عباس ، القومية العربية بين الفكر والواقع ١٩٧٣ .
- ١٥- ساطع الحصري ، اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية .
- ١٦- ساطع الحصري ، ماهي القومية ، دار الملايين ، بيروت ، ١٩٥٩ .
- ١٧- سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن .
- ١٨- سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ١٩- سيد قطب ، معالم في الطريق ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- ٢٠- صالح العبد ، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، الرياض ، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٩٨٢ .
- ٢١- صحيح البخاري .
- ٢٢- صحيح الترمذى .
- ٢٣- صحيح مسلم .
- ٢٤- عبد الستار فتح الله ، الغزو الفكري والتىارات المعادية للإسلام ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، جمهورية مصر العربية .

- ٣٥ - عبد الله سلوم السامرائي ، الإسلام والقومية ، الإسلام والأمية ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- ٣٦ - عبد المؤمن يوسف ، المسألة القومية بين الجاهلية والإسلام ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، مصر ، ١٩٨٢ .
- ٣٧ - مسند احمد ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٢ .
- ٣٨ - منيف الرزاز ، معالم الحياة العربية الجديدة ، بيروت ، دار العلم للملائين ، ١٩٦٠ .
- ٣٩ - نهج البلاغة ، شرح الشیخ محمد عبده ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٤٠ - يوسف خليل ، القومية العربية ودور التربية في تحقيقها ، دار الكاتب العربي القاهرة ، ١٩٦٧ .



ا ب ت ح ح خ د ذ ر ز  
ك ب ن ه ب ل م  
ب س ح خ ع ن ب و  
ف س س ك ه ئ و ك ل ي

## شموذج حروف اللفاء المغربية المفردة على الترتيب المغربي